

سيرة الإمام علي (ع)

أحمد بن محمد البكري

[1]

سيرة الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

وفتحه السبعة حصون ومحاربتة الهضام بن الحجاف بن عون بن غاتم الباهلي

برواية المؤرخ القصصي الشهير أبي الحسن احمد بن عبد الله بن محمد البكري

طبع على نفقة البحاني المحمدي صاحب مطبعة ومكتبة المنار

مطبعة المنار - تونس

[1]

سيرة الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه
وفتحه السبعة حصون ومحاربتة الهضام بن الجحاف بن عون بن غانم الباهلي
برواية المؤرخ القصصي الشهير أبي الحسن احمد بن عبد الله بن محمد البكري
طبع على نفقة البحاني المحمدي صاحب مطبعة ومكتبة المنار

مطبعة المنار - تونس

[2]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تفرد بقائه ونور بمعرفته قلوب اوليائه وطيب اسرار الصادقين يطيب ثنائه الحي القيوم الذي لا يعزب عنه مثقال
ذرة في أرضه وسمانه احمده سبحانه وتعالى حمدا تعرف بالعجز عن عدد آياته واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الذي
تفرد بعزه وبقائه واشهد ان سيدنا ونبينا ومحمدا صلى الله عليه [وآله] وسلم عبده ورسوله خاتم انبيائه وسيد اصفياه اللهم
صلي وبارك على هذا النبي الكريم والرسول السيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى أصحابه صلاة وسلاما دائمين
متلازمين بدوام أرضه وسمانه تسليما كثيرا.

(وبعد) فقد روى أبو الحسن احمد بن عبد الله محمد البكري رضي الله عنه قال حدثنا يوسف بن عبد الله وخالد بن رفاعة
الجهني قالا حدثنا خلق كثير يروي بعضهم عن بعض فاخذنا من ذلك ما نرجوه ان شاء الله تعالى تعليقة على قدر الروايات
قالوا حدثنا صاحب الحديث عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم
في مسجده المبارك وكان ريح ومطر إذ سمعنا صوتا جهوريا من وراء المسجد يقول السلام عليك يا محمد ورحمة الله وبركاته
فقال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فالتفت لنا رسول الله صلى الله عليه [وآله]
وسلم وقال ردوا على اخواتكم السلام رحمكم الله فقلنا يارسول الله على من نرد ونحن لم نر احدا نرد على الملائكة أم على
الجان فقال بل على اخوانكم الجان الذين آمنوا وصدقوا برسالتني ثم نادى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم اظهر لنا أيها
المتكلم لنراك فظهر لنا شيخ قال علي رضي الله عنه وإذا به عرفطة بن شماخ وكنت به عارفا لان النبي صلى الله عليه [وآله]
وسلم قد ارسلني معه إلى قومه فاحرقت باسماء الله تعالى وبنوره منهم زيادة عن خمسين قبيلة من الجن وآمن منهم خلق كثير
فسلم عرفطة على رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وجلس النبي فقال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ما حاجتك
قال يارسول الله قد جنتك لاخبرك عما نحن فيه الحرب والوقائع وقتال القبائل الجواهر فقال النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم
مع من يا عرفطة فقال مع كفار الجن ومردتهم وكذلك مع عفاريتهم عبدة الاوثان فقال

[3]

رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ديارهم قريبة منا أم بعيدة يا عرفطة فقال يا سيدي في جبال واوكار واودية شتى قد
اهلكتنا منهم خلقا كثيرا وأهلكوا منا خلقا كثيرا وان لهم صنعا يسمونه المنيع وقد تعالى الله عز وجل عن ان يمثل وهو السميع
البصير فمنهم هذا قائم بخدمة الملك الهضام بن الجحاف بن عوف بن غانم الباهلي الملقب بمرارة الموت لعنه الله والصنم
المنيع موكل به ما رد يقال له عنريس بن دريس بن ابليلس وله عشيرة عظيمة وقبيلة جسيمة ونحن في غزوهم وجهادهم وقد

اشتدت بلية القوم وتعاضم أمر الهضام وكفر بالله تعالى واتخذ من دون الله إليها يسمونه المنيع وجعل له جنة ونار وجعل له زبانية وسماهم الغلاظ الشداد وجعل له ملائكة وسماهم البررة الكرام وجعل في جنته الاشجار والانهار والاطيار وجعل فيها المخدرات المنعمات وسماهم الحور العين وجعل لها عرشا وكرسيا ومن العفاريت الطيارين وسماهم الملائكة المقربين وأنت رسول الله لم يبلغك من ذلك كله وقد اشتد تمرد القوم وطغيانهم وكفرانهم لرب العالمين.

(قال الراوي): فلما سمع رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم من عرفطة اشتد به الغضب حتى كاد يضطرب كالسفينه في الريح العاصف وسجد على الأرض طويلا ثم رفع رأسه وقد سكن ما به من غيظ ولمع النور من بين عينيه صلى الله عليه [وآله] وسلم حتى لحق عنان السماء ثم أقبل على عرفطة وقال له انصرف شكر الله سعيك واحسن إليك وانا ابعث إليهم رسولا وهو خليفتي ونقمتي على اعدائي فقال عرفطة يارسول الله إذا بعثت للقوم رجالا من الانس آبادوهم وقتلوهم فإن عساكر الانس لن يطيقوا قتال الجن ومردتهم ولن يبلغك ما تريد الا الفارس الصنديد والبطل الشديد قالع الحلقة والقصر المشيد ومبيد الانس والجن في البئر العميق مفرق الكتابي ومظهر العجايب والغرايب صاحب الحسام القاضب والغمام الساكب ابن عمك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

ثم غاب عرفطة عن اعين الناس فنظروا إلى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وقد تغير لونه وظهر غيظه واحمرت عيناه وتقوس حاجباه فعم ذلك على المسلمين وجلسوا حوله ينظرون إلى الأرض ويحدقون إلى الإمام علي كرم الله وجهه ويشيرونه عما نزل برسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم والإمام علي لا يتكلم ولم يرد عليهم .

(قال الراوي): فبينما

[4]

الناس في ذلك وإذا بجبريل عليه السلام قد نزل من عند رب العالمين فوثب له النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم مسرورا وهو ينادي لبيك لبيك اللهم أنا نسألك الفرج منك يا مفرج كل كرب ومزيل كل هم وغم وخرج النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم من المسجد وقال لا يقم احد من مكانه حتى اعود إليكم وخرج فمكث قليلا ثم رجع إلى أصحابه وهم جلوس كل واحد منهم في مقامه وقد تهلل وجهه صلى الله عليه [وآله] وسلم فرحا وسرورا وجعل النور يشرق من بين عينيه صلى الله عليه [وآله] وسلم فوثب الناس إليه يسألونه عن امره.

(قال الراوي): فقال النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم اجلسوا بارك الله فيكم فجلس الناس جميعا وصمتوا فقال النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم أين سلمان وعمار فأجاباه بالتلبية ها نحن بين يديك قل ما شئت يارسول الله فانا لكلامك سامعون ولامرك مطيعون فقال لهم النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم سيروا في شوارع المدينة ونادوا الصلاة جامعة بمسجد المختار الله الواحد القهار فلما سمع الصحابة منه صلى الله عليه [وآله] وسلم ذلك النداء جعلوا يهرعون إليه من كل جانب ومكان حتى امتلا المسجد بهم ثم صعد النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم المنبر وخطب خطبة بليغة فشوق إلى الجنة ونعيمها وحذر من النار وجحيمها.

(قال الراوي): قال النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم معاشر المسلمين: ان الله جل وعلا تقدست اسماؤه ولم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولا اله غيره بعد رفع السماء بلا عمد وارسى الجبال وتد وزين السماء بالنجوم الزهرات والافلاك الدائرات واجري فيها

الشمس والقمر آيات لاولى الالباب وبسط الارضين بحكمه على تيار الماء وثبتها بالجبال الراسيات واضحك تغوير البقاع الجامدات بفيض دموع السحاب المسخرات وثبت الرياح العاصفات مخاليب الطيور الصافنات وقوى قبة الجبال الراسيات تلاطم امواج البحار الزاخرات وعلق استار واوراق الا غصاب النضرات .

(قال الراوي): ثم قال رسول الله صلى عليه وسلم أيها المسلمون: أنا بشر منكم آكل مما تأكلون واشرب مما تشربون ولا اعلم ما كان ولا يكون ولا يحيط بذلك علما الا من يقول للشيء كن فيكون ثم بعد ذلك اعلمكم انه قد وفد على عرفطة من اخوانكم في الدين وهو من الجن المؤمنين وقد اخبرنا عن اللعين الملك الهضام ابن الجحاف بزعوف بن غانم الباهلي لعنه الله قد اتخذ له صنما وسماه المنيع وصنع له جنة ونارا وملائكة وزبانية فيدخر من اطاعه واطاع صنمه

[5]

في جنة ويعذب بناره من عصاه وعصى صنعه وقد غره حكم ابليس اللعين واستدرجه وآهاله فلما سمعت ذلك سمعت ذلك كبر علي وعظم لدي ولاخفف عني ذلك الا حبيبي جبريل وقد آتاني واخبرني عن ربي عز وجل وهو يقول يا محمد الله يقربك السلام ويخصك با لتحية والاكرام ويقول لك اني قد علمت بما في نفسك وما قد نزل بك واني مبشرك ان دمار القوم ودمار صنمهم على يد رجل يحبه الله والملائكة وهو سيف نقتك وباب مدينتك التي ما سجد لصنم قط وهو زوج البتولي والمتولي لدعوتك وحامل رايتك الفتى الولي مفرق الكتائب ومظهر العجائب والغرائب الحسام الغاضب والليث المحارب والغيث الساكب لبني غالب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كفر الله وجهه وهذه اشارة من عند ربي الأعلى ثم ان النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم كشف عويذة فإذا فيها عربرة سوداء مكتوب فيها بقلم القدر لم يكتبها كاتب فلما نشرها صلى الله عليه [وآله] وسلم ظهر لنا نور له شعاع عظيم فقال الصحابة يارسول الله خبرنا بما فيها مكتوب بمشينة الجبار أمر من الطالب الغالب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وفرح المسلمون بذلك فرحا شديدا وقالوا لقد فارمن الجبار وقربه برسول صلى الله عليه [وآله] وسلم وعلى الله الا خيارا حزن بذلك للكفار قال الراوي ثم ان الرسول صلى الله عليه [وآله] وسلم اقبل على أصحابه وقال لهم معاشر المسلمين هل فيكم من وصل إلى ديار اللعين الهضام بن الجحاف بن عون فيخبرنا بما شاهد من ابطاله واعوانه وكفره وطغيانه فقام عند ذلك رجل من المسلمين يقال له عبد الله بن انيس لجهني رحمة الله عليه فقال أنا اخشى ان يداخل قلبك الوهم والههم عن وصفي فقال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم قل يا انيس فاتنا لا نخاف مع الله احدا فقال يارسول الله أنت بابي وامي ان خبره عظيم ان الهضام ابن الجحاف لما نظر إلى اصنام العرب التي يعبدونها من دون الله عز وجل وجعل في سماء القبة حجرا من المغناطيس وفي اسفل القبة حجرا اخرًا وعن يسارها حجرا يوازن بعضها بعضا ووقف الصنم في وسطها في الهواء بجذبه كل حجر بقوته وذلك الصنم مرصع بالجواهر واليواقيت النفيسة وكساه بالحريز الملون ونصب له كرسيًا مرتفعا

[6]

مكللا بالدر والجواهر وشده بقضبان الذهب الاحمر والفضة البيضاء فما كان من العاج الابيض كانت كواكبه من الذهب وما كان من الابنوس الاسود كانت كواكبه من الفضة البيضاء جعل لتلك القبة بابا عظيما من الذهب الاحمر وعلق على باب القبة سترا مزركشا وعلق من داخل القبة قناديل من اللؤلؤ بسلاسل من ذهب يوقد بطيب الادهان وبني من خارج القبة بيتا عظيما مانعا بالعلو وجعل سقف القبة من خشب الصندل وفصل أرضها وحيطانها بالرخام الملون وجعل من ورائها بيتا آخر مثل البيت الاول

وما زال كذلك حتى جعلها سبعة ابواب على بعضها بعضا ولها سبعة ابواب منها ما هو من العاج ومنها ما هو من الابنوس وغير ذلك وقدر ركب في تلك البيوت جامات من البللور المختلف الالوان فإذا طلعت الشمس على تلك الكواكب اشرق نورها على تلك البيوت والقبة وجعل على كل باب حاجبا موكلا به فإذا ورد إليه وأراد أو قصد إليه قاصد من بعض الملوك اوقفه الحاجب الاول والثاني كذلك حتى ينتهي إلى الباب السابع وكلما جاوز بابا نظر إلى غيره فإذا هو أعظم من الذي قبله فإذا وصل إلى المكان فيه عدو الله الهضام وجده جالسا على سريره وقد احذقت به جنوده والحجاب حوله فإذا وقعت بين يديه أمر الهضام بقلع ثيابه فيقلعها ويلبسونه ثيابا غيرها ويقولون له ان ثيابك هذه عصيت فيها فهي لا تصلح ان تدخل على الاله المنيع وأنت تطلب منه الغفران ثم يدفع له خاتما من الحديد ويقولون له ان هذا الخاتم الذي تريد به عفوه عنك فإذا ثبت في يدك فقد عفا عنك وقبل توبتك ثم بعد ذلك يامر الملك الهضام بفتح القبة لذلك الشخص فإذا دخل على الصنم وشافي نفسه شيئا فيظن ان الصنم قد طالب رضاه وكلما قرب من الضم جذبته السلسلة إلى ورائه فإذا كان لا ينقلع الخاتم من يده يامر به با لسجود فيخر ساجد ولم يزل كذلك حتى يهتف به من جوف الصنم الشيطان الموكل به ويامر بالقيام فيقوم فينذر ذلك الشخص مما امكنه من الذهب والفضة أو جواهر أو جوار أو عبيد أو خبل قدر ما تصل إليه قوته وقد استولى

[7]

اللعين الهضام بهذه الحيل على اموال الناس فلما فرغ من ذلك خرج إلى فلاة عظيمة ملء الارض فجمع الصناعات و امر بحفر حفرة طويلة طولها اربعمائة ذراع وعرضها مثل ذلك ثم جعل لها اساسا و بناها بالصخور العظام و اوقف عليها الف عبد اسود غلاظا وافرذ ذلها الف بعير يحملونها الاحطاب والاشخاب والف عبد يجمعون لهم ذلك ويحملونه إلى الحفرة والف يصرمون النار في الليل والنهار وسمى تلك الحفرة جهنم حتى إذا مر بهم طائر احترق من شدة لهيبها وبنى لها درجات عاليات ولما فرغ من ذلك بنى دائرة واسعة طولها عشرون فرسخا وعرضها مثل ذلك وجعل طينها المسك والزعفران واحجارها من جميع الالوان مثل الاحمر والاصفر والابيض والاخضر والازرق وغرس فيها الاشجار وجمع فيها كامل الاوصاف والاطيار وبنى في وسطها دكة بيضاء من الرخام المختلف الالوان واتخذ فيها قصور وجعل سقوفها من الذهب الاحمر والفضة البيضاء وجعل فيها جوارى ابيكار كانهن الاقمار ونظم ذوانبهن بالدر والياقوت ووكل بابواب تلك المقاصير غلمانا مر داجردا وسماههم الملائكة عليهم حلل من انواع الحرير وعلى رؤوسهم عمانم خضر وجمع في هذه المقاصير من الفواكه الصيفية والشتوية من اطيب الاثمار وجعل فيها الاطيار تغرد على الا غصان بانواع اللغات وجعل فيها اصناف الطيب المعجون يماء الورد من حول تلك المقاصير وفيها الخمر مسكوب والعسل مصبوب واللبن محلوب يصب في قنوات فمن اطاع هذا الصنم ادخله هذه الجنة ولذذ بنعيمها ومن عصاه ادخله هذه النار يتلظى بجحيمها وقد تزايد أمر هذا اللعين الجبار وشاع بين العرب بشجاعته وعظم شره حتى لقبوه بمرارة الموت.

(قال الراوي): فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك قال ويا ابن انيس لقد حدثتني لم اسمع مثله قط واين أرضه وبلاده ومستقره قال يا رسول الله باطراف اليمن مانلا إلى العمران في واد يقال له وادي القمر فنادى برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أين أمير المؤمنين وحامي حوزة الدين مفرق الكتاب ومظهر العجائب ومبدي الغرائب الليث المحارب والغيث الساكب والحسام القاضب ليث بني غالب أمير

[8]

المؤمنين علي بن أبي طالب فلما سمع نداء رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم علي بن أبي طالب وثب قائما على قدميه وانشد وجعل يقول شعر لبيك من داع ومن منادي لبيك نور الله في البلاد لبيك من داع إلى الرشاد فرجت عني كربة الفؤاد قل ما تشاء يا اكبر العباد افيك نالا هلين والاولاد.

(قال الراوي): فلما سمع رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم تبسم ضاحكا من قول الإمام علي كرم الله وجهه ورضي عنه ثم اقبل الإمام علي النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم ووقف بين يديه فضمه النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم إلى صدره وقبله بين عينيه وقال معاشر المسلمين هذا علي بن ابي اعمي ووارث علمي وزوج ابنتي وحامل رايتي وسيف نعمتي من اساء إليه اساء الي ومن احسن إليه فقد احسن الي ومن احبه فقد احبني ومن ابغضه فقد ابغضني اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله ثم قال عليه الصلاة والسلام اسمعت ما وصفه عبد الله بن انيس الجهني عن عدو الله هضام بن الجحاف وتجبره وكفره وجموحه قال نعم يارسول الله فقال رسول الله يا ابا الحسن ان الله امرني ان اخبرك بهذا الخبر وقد وعدني ربي بنصرك وحفظك ورجوعك الي سالما غانما فماذا تقول وامر لك عصابة من المسلمين وجماعة من المؤمنين تسير فيهم إلى عدو الله الكافر وقد بلغني ب انه تكاسر من الورود وان أكثر منهم مددا وهو القادر على ان لا يبقي منها احدا.

(قال الراوي): فاطرق الإمام علي راسه ثم رفع راسه إلى النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم ونظر ولم يتكلم ثم عاد إلى اطرقه ساعة ولم يتكلم ثم عاودها ثالثا فعظم ذلك على النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم وقد تبين في ذلك الوقت في وجوه المنافقين وقال بعضهم لبعض ان علي بن أبي طالب كره التوجه إلى الهضام ويحق له ذلك ومن يقدر على وصف عبد الله بن انيس وتكلم المؤمنين على قد ما وصل إليهم وقال بعضهم لاشك انه يطلب جماعة يسير بهم إلى عدو الله ولكنه اسحياء رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ان يذكر له ذلك وقال بعضهم ان عليا كره الخروج من غير جذع ولا فزع وكثرت الاقوال بين الناس وعظم على النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم فقال يا ابا الحسن ما السكوت والتواني برد الجواب ما املت منك الا انك أمر مبادر والى ما اخبرتك

[9]

مسارع فهل لك من حاجة فتقضى أو كلمة فتمضى.

(قال الراوي): فلما سمع ذلك الإمام علي كرم الله وجهه من رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وتبسم ضاحكا وقال يارسول الله حاجتي تقضيها كائنة ما كان قال نعم اي والذي بعثني با لحق بشيرا ونذيرا اني اقضيها ان وجدت إلى قضائها سبيلا فقال الإمام علي رضي عنه الم تأتيك البشرى من عند المولى الكريم رب العالمين ان ترسلني لهذا الأمر وضمن لك سلامي وحفظ رعائتي فقال النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم نعم يا ابا الحسن فقال الإمام علي كرم الله وجهه إذا كان من يعصمني ويسلمني ويحفظني لا حاجة باحد غيره ولا تبعت لهذا الأمر احد سواي فحسبي يا رسول الله نصر الله عز وجل وهو خير الناصرين واسأل الله جلب المسرة إلى فؤادك.

(قال الراوي): فلما سمع ذلك رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم تهلل وجهه فرحا مسرورا وقال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يا ابا الحسن كفاك الله شانيك واهلك معاديك ثم كبر رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وكبر المسلمين جميعا عند ذلك فرحين بما كشف الله من قلوبهم من الهم والكرب وارغام انف المنافقين اعداء الله قال عبد الله بن أبي سلول لعنه الله وهو راس المنافقين بالمدينة هذه أعظم فرحة وحق اللاتي والعزى لنحرقن عظام علي بن أبي طالب بنار الهضام ولو خرج

محمد إليه بجميع أصحابه ما قدروا عليه ولا بقيتم ترون علي بن أبي طالب بعد هذا اليوم ان هو خرج إليه ثم ان النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم دعا بدواة وقرطاس وقلم ودفعها إلى الإمام علي ابن أبي طالب وقال له اكتب يا ابا الحسن إلى عدو الله الهضام كتاب بالتحذير فكتب الإمام علي كتابا يقول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من رسول الله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن عبد مناف داعي الورى إلى الانصاف وهاديهم إلى طريق الخير والغفران إلى الهضام بن الجحاف الباهلي اما بعد لقد اتصل إلينا ما أنت عليه من التكبر والتجبر والعتو على الله عز وجل وما صنعته من جنة ونار يا ويلك والويل ثم الويل لك تتخذ الحديد والجنادل اربابا من الله عز وجل ارايت ما صنعته من نارك لو انك امرت عبيدك الذين ينقلون الحطب والاخشاب ان يسكنوا عنه يوما واحدا لسكن لهيبتها وانقطع

[10]

وهجها وخمد حرها يا ويلك والويل لقومك بل لوحملوا إليها الماء وسكبوه فيها لطفتت حرارتها وذهبت جمرتها فاين نارك من نار وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين لا يخمد حرها ولا يبرد لهيبتها وهي لا توقد بحطب ولا بخشب بل توقد بسخط الله عز وجل فلا تخمد في ليل ولا في نهار عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون واعلم ان نارك التي توقدها انما هي جزء منها وهي اثنان وسبعون جزء واما جنة الخلد التي وعد المتقون ففيها ما تشتهي الانفس وتلذذ الاعين لا يفنى نعيمها ولا ينقص ثمرها ولا يصفر ورقها والمؤمنين فيها متنعمون في جوار رب العالمين وعلى الارائك متكنون واما جنتك التي احدثتها فلو امرت بمنع الماء عنها لجفت اغصانها وفسد ثمارها فاترك ما أنت عليه من تكبرك على خالقك ورازقك ولا تنفك نارك ولا جنتك فقل معي لا اله الا الله محمد رسول الله واشهد لي بالرسالة تكن من الفائزين والصديقين فإن ابنتك بسيف قاطع وبطل مانع.

(قال الراوي): ثم ان الإمام عليا كرم الله وجهه قرأ الكتاب على النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم فاخذ النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم الكتاب بيده الكريمة وطواه بعد ان ختمه بخاتمه الشريف ثم قال يا ابا الحسن خذ معك من المسلمين رجلا فإذا قربت من ديار عدو الله فقدمه امامك رسولا بهذا الكتاب فإن أجابه إلى ما دعوانه إليه وآمن بالله وصدق برسالتى فكف يدك فإن الله حليم لا يجعل با لعقوبة على من عصاه وان أبي هو وعصى فانظر لنفسك وتدبر امرك واحذر من الحصون في مسيرك وتوكل على الله وقل لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

(قال الراوي): ثم اقبل النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم على أصحابه وقال لهم من يمضي برسالتى مع ابن عمي وانا اضمن له الجنة ولا يكون الا عارفا بديار القوم فعند ذلك نهض جميل قائما على قدميه وكان جميل رجلا مشهورا لأنه كان قريب عهد بالإسلام وكان لا يخفى عليه شيء من مياه العرب ولا من منازلهم فدفع له النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم الكتاب وقال سر يا ابن كثير.

(قال الراوي): ثم قال له النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم اخرج مع ابن عمي علي بن أبي طالب رضي الله عنه فعند ذلك قال ابن كثير يارسول الله دعني اتقدم امام ابن عمك فاني لا اطيق المسير معه واني ان شاء الله تعالى اسبقه إلى ديار

[11]

عدو الله الهضام وأسير إليه راجعا برد الجواب والاقية واسرع له الخطاب فقال له النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم يا جميل اصلح الله شأنك فقال يارسول الله ثم اتى إلى داره واصلح شأنه وشد راحلته واقبل إلى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم

وودع من كان حاضرا من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم سر يا جميل وقل لا حول ولا قوة الا بالله العظيم. ثم ان جميل ركب على ناقته وخرج من المدينة وهو عدو الهضام هذا كان من حديث جميل واما ما كان من حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فانه اقام في المدينة بقية ذلك اليوم فلما دخل المساء اقبل النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم فحدثه بخبر الذي مضى ثم قال النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم يا ابا الحسن ايهما يخرج على مطيتك أم على جوادك بل المطية اصلح فانها تحمل الزاد وتصير على مشقة السير، وقد جعلت الأمر إليك فقال له الإمام أنا موفق بحفظ الله ومتوكل على الله، ولو جعلت الأمر الي فاتي لا اسير من عندك الا رجلا فقال له النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم يا ابا الحسن فكيف يكون لك طاقة بحمل الزاد فقال له الإمام علي رضي الله عنه وحق الذي اختارك واصطفاك لا ازال صانما حتى يردني الله إليك سالما.

(قال الراوي): فلما سمع النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم ذلك الكلام من علي كرم الله وجهه تغرغرت عيناه با لدموع ثم قال اللهم لا تفجعني بفقدته ولا تحزني من بعده اللهم انه وديعتي إليك فاحفظه حتى ترده الي الا سالما يامن لا تخيب عنده الودائع ثم ان الإمام عليا رضي الله عنه انصرف إلى منزله وبات الليلة يتحدث مع اولاده فلما اصبح الصباح قام الإمام علي رضي الله عنه فتوضأ وافرغ آلة حربيه وتحزم بمنطقته وتنكب بجحفته وضم اولاده وجعل يقبل هذا مرة وهذا مرة ثم اقبل على فاطمة الزهراء رضي الله عنها وقبلها بين عينيهما ثم خرج إلى المسجد وصلى مع النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم صلاة الصبح ثم قال يارسول الله منك القول ومني السمع والطاعة اتاذن لي با لخروج فقال له النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم لله الأمر من قبل ومن بعد فإذا عزمت فتوكل على الله ثم نهض رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم قائما على قدميه ونهض الناس معه ولم يبق احد الا خرج مع النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم وهو يوصي الإمام عليا كرم الله وجهه ويحدثه بما يجري به في طريقه والناس يتعجبون من سير الإمام علي

[12]

وحده فلما بعد عن المدينة وقف النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم وودع الإمام علي ودعا للإمام بدعوات تحجب عنه خلق الأرض والسموات ثم أمر الإمام با لمسير، وقال سر بارك الله فيك الله خليفتي عليك.

(قال الراوي): ثم ان صلى الله عليه [وآله] وسلم وامر الناس با لرجوع فرجع الناس وسار الإمام طالبا بلاد اللعين الهضام وحيدا بنفسه ليس معه من يوانسه الا الله وكان المنافقون قد خرجوا جميعا عند الوداع وهم يقولون اما ترون هذا علي بن أبي طالب إذ هو تعرض لمرارة الموت لم يبق لهذه الديار يعود وهو فرحون مسرورون يقولون قد فقد علي بن أبي طالب حين صار لمرارة الموت والنبي صلى الله عليه [وآله] وسلم والصحابة يدعون للإمام بالنصر والتأييد على اعدائه فهذا ما كان من أمر المنافقين والنبي صلى الله عليه [وآله] وسلم.

(قال الراوي): واما ماكان من أمر الإمام علي كرم الله وجهه فانه سار واستقام به المسير واسلم نفسه لله عز وجل وانشد شعرا :

أسير وحدي إلى ما قد أراجيه *** إذ كل ما قدر الله من أمر ألاقية

لا تكره الموت في بدو ولا حضر *** إن يدن منك فكن أنت مدانيه

أسير مستلما لله معتمدا عليه *** في كل أحوالي أناجيه

به الود سواء وما لي عنه مصطبر *** وكيف عبد يرجي من مراجيه

صلى الاله على طه وعترته *** مادام طير على غصن ينجيه

(قال الراوي): فبينما الإمام سائر وقد غاب عن المدينة وإذا بصاح من وراه ينادي يا ابا الحسن سألتك بالله ورسوله ان تقف لي حتى الحقك فوق الإمام والتفت ورائه وإذا برجل طويل السواعد عريض المناكب وهو يسرع في خطاه ويروى في مشيه فتأمله الإمام علي رضي الله عنه فاذا هو رجل من اشرار المنافقين يقال له ورقة بن خضيب من اقارب ابن ابي سلول المنافق لعنه الله وكان الملعون يتجسس الاخبار لعدو الله الهضام بن الجحاف ويظهر الإسلام ويكتم النفاق ويريد بذلك انه يظهر برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابن عمه فلم يجد لذلك سبيلا فلما نظر الإمام خرج في ذلك اليوم وحيدا فريدا اقبل ذلك الرجل على قومه للنفاقين فرحا مسرورا وقال لهم الآن قد بلغت مرادي وبلغت امنيتي

[13]

وها أنا أريد ان ارافق علي بن ابي طالب إلى ان اجد فرصة أو غفلة عند قومه أو سيره فاقطع راسه وامضي به إلى الملك الهضام لانال عنده المنزلة العليا وعند الاله المنيع الرفيع واتقرب إليهم واصير عندهم صاحب قدر واشفي قلبي من العلل فقال اخوته المنافقين نشكر اللاتي والعزى وفرحوا بذلك فرحا شديدا لما يعلمون من شجاعته وقوة قلبه فما منهم الا وقد وعده بصلته وجعل له جهل ان وصل إلى ذلك .

(قال الراوي): فعند ذلك خرج ورقة من خضيب ولحق أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب رضي الله عنه معارضا له سالكا طريقا قال فالتفت الإمام إليه وقال من أنت ومن أين اتيت والى أين تريد فقال ورقة اتيت أريد مرافقتك ومصاحبتك ومساعدتك على اعدائك لانني مبتهج بمحبتك ومجتهد في خدمتك عند ذلك قال أمير المؤمنين كرم الله وجهه من احبنا لقي بحبنا نعيما ومن ابغضنا لقي ببغضنا جحيم وكان الله بما قضى عليما ارجع يا ورقة لا انس لي بك والله اعلم بما اضمرت فجزاك عليه يوم يقوم الناس لرب العالمين فقال ورقة يا ابا الحسن اني ما اتيت حتى استاذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الموافقة والمسير معك والمساعدة لك على اعدائك ثم انه الج عليه في السؤال بالمخادعة والحيلة عنه إلى ناحية من الطريق وسمح له با لمسير معه .

(قال الراوي): ثم سار عدو الإمام متجانبا متباعدا عنه وسار عدو الله إلى جانبه ولم يبدله شيئا وكنتم امره فقال له الإمام ان كان ولا بد من مصاحبتني فلا تسألني عن شيء حتى يحدث لك منه ذكرا فاجابه ورقة إلى ذلك وقال يا بي أنت وامي وكيف اتعرض لك في شيء وأنت من بيت النبوة ومعدن الرسالة واقتبس منك ومن علمك ولا انازعك في صنعك ولا امانعك في امرك وانما أنا مساعدك في سفرك ومعاونك على اعدائك فعند ذلك خلى الإمام سبيله وجعل يقول: من صاحب الليث يرجو منه خدعته يسقى من اظفاره كاس الذي جرما من يشرب لا ي أمن عواقبه لو كان يعلم عقبى السم لامتنعا من اضمر الشر ياتي نحوه عجلا مسارعا قاصدا قد جاء متبعا.

[14]

(قال الراوي): فلما سمع ورقة هذه الابيات من الإمام لم يرجع عما اضمره بل انه سمع غيظا وثم يزاا سانرين والإمام علي يقول حسبي الله ونعم الوكيل حتى وجب عليهما فلم يجد الإمام ماء يتوضا منه فسار إلى ان قرب العصر فاشرف الإمام على رجل واقف على بئر وقد ملا سقيه والى جانبه مائدة منصوبة وعليها صحف مملوءة بالطعام واقراص من العيش فلما نظر ذلك الرجل الإمام وورقة قال هلما إلى الطعام الفاخرة والماء البارد بلا ثمن ولا جزاء فاسرع إليه الإمام ولم يمهلته حتى قبض على

اطواقه وجلد به الأرض وجلس على صدره وحز راسه ثم عمد إلى الماء فراقه ثم حفر حفرة كبيرة وجعل فيها الطعام ورد عليه التراب حتى غيبه وسار كأنه لم ينبه شيئا فقال له ورقة يا ابا الحسن قد قد تجارات على فعلك واسرفت في صنعك وظلمت في حكمك بما فعلت بهذا الرجل الذي يبرد الماء لعابر هذا الطريق وينصب للجياعان من غير ثمن ولا جزاء وتقدمت إليه وذبحته وإلى طعامه فدفتته وإلى مائه فارفته وتركنا نلتهب عطشا فوالله لقد تجارات في فعلك واسرفت في صنعك فقال له الإمام ألم أقل لك لا تسألني عن شيء حتى يحدث لك منه ذاك ارجع الآن فانك لن تستطيع معي صبرا .

(قال الراوي): فازداد اللعين كفرا وامتلا غيظا وقال في نفسه كيف ارجع واداع ابن أبي طالب وحق اللادتي والعزى لا ارجع حتى اقطع راسه وامضي بها إلى الملك الهضام وابرد قلبي واشفي غليلي ثم أقبل على الإمام بمكره وخداعه وقال يا ابا الحسن أنتم أهل الجود والكرم والاحسان والعفو والامتنان ولست اعود إلى شيء تكره فسمح له الإمام بالسير معه فسار إلى وقت العصر ثاني يوم فاشرف الإمام على حوض مملوءة وبجانبه مسجد قد طرح النحل على جدرانه وإذا بشيخ كبير جالس إلى جانبه وعنده جارية حسناء وعليها اثواب الزينة وثياب مزعفرة فلما وصل إليها الإمام حل منطقتة ووضع سلاح واخرج زنادا كان معه وقدح منه نارا واطلقها في المسجد فا حترق المسجد سريعا وتساقطت حيطانه ثم انه حفر حفرة وعمد إلى الصبية فجعلها فيها ورجمها حتى ماتت ثم عمد إلى الشيخ فقطع يديه ورجليه وتركه مخضبا بدمانه ثم عمد إلى الماء فتوضأ وصلى وانصرف كأنه لم يفعل شيئا .

[15]

(قال الراوي): فلما رأى ذلك ورقة ثار وامتلا غيضا وحمقا على الإمام لكنه خشى من صولته وهجومه عليه قال له وهو يلين له الكلام يا ابن أبي طالب والله ما امرك الله ولا رسوله ولا نطق بذلك القرآن عمد إلى المسجد فا حرقته وهدمته والان عاد خرابا وعمدت إلى الشيخ فقطعت يده ورجليه من غير ذنب ولا جنائية سبقت منه إليك ثم عمدت إلى صبية من حسن الناس وجها فرجمتها حتى ماتت وهي كانت تصلح لمثلك والله لانصرت وهذه الفعال فعالك فتبسم الإمام وقال والله لولا اني أريد ان اظهر لك بيان بما رايتة والا كنت عجلت بروحك ولا كذبت على وعارضتني لي فاهلكت وتدبر امرك وانظر إلى ما أنت له صانع وسيظهر لك يا ويلك اما رأيت وعابنت وان سالت عنه رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم اخبرك به فارجع عني واستغنم السلامة واكرم الناس من إذا قد عفا وهذه الثانية صحبتي وعدت إلى الثالثة جازيتك بعلمك يا ويلك ألم أقل لك ما قاله العبد الصالح لموسى بن عمران انك لن تستطيع معي صبرا فقال يا ابا الحسن اعف عما قلت ولست اعود إلى ما تكرهه ودخل على الإمام بمكره وخداعه وهو يظن ان يظفر به فسمح له الإمام بالمسير معه ولم يزالا فيه عين ماء كبيرة المياه وبجانبها حفرة واسعة وعلى بابها عبد عظيم الخلقة احمر العينين عريض المنكبين مفتول الساعدين فلما نظرهما قال للإمام اعدلوا إلى هذا المنزل فقد ولى النهار واقبل الليل فقال الإمام سرولا تتعرض لما ليس لك به علم فقال ورقة والله ما بك خوف من هذا الاسود حيث رايتة يطيل النظر إليك فلما سمع الإمام ذلك تغير وجهه وقال لورقة ويلك امثلي يفزع من ابيض واسود وانا من أهل العلم والتاويل والدلالة والتفصيل ثم عطف الإمام ناحية العبد فلما رآه العبد مقبلا إليه ورحب به وفتح له باب الحظيرة فدخل الإمام ودخل الاسود في

[16]

نحوهما واغلق باب الحظيرة فلما وصل الإمام وسط الحظيرة وإذا هو بجماجم مقطوعة وعظام مهشومة فوقف ينظر إلى ذلك ويتفكر ويتعجب وإذا هو بسبعين عظيمين قد خرجا من جانب الحظيرة وقصد احد منهما إلى نحوي الإمام والاخر إلى ورقة فالسبع الذي وصل ورقة هدر وزمجر فلما عاين ذلك قصد نحو الإمام وهو يرتعد كالسعة في مهب الريح واصطكت اسنانه واهتزت ركيته من شدة ما نزل به من الخوف والفرع وهو ينادي برفيع اصواته ادركني يا ابا الحسن خالفتك فهلكت فبالله عليك يا ابا الحسن خلصني مما أنا فيه ولا تؤاخذني بسوء افعالي قالت من أهل الكرم والجود فتبسم الإمام ضاحكا من مقالته واما الإمام فلم يعتن بالسبع الذي وصل إليه ولم يلتفت إلى مبتله فلما قرب السبع من الإمام صرخ صرخته المعروفة الهاشمية فتضعض السبع من شدتها ووقف مكانه وخمدت قوته من صوت الإمام وجعل ينادي أنا السيف المسلول أنا ابن عم الرسول أنا مفرق الكتاب أنا مظهر العجائب أنا الحسام القاضب حامل ذو الفقار أنا البحر الساكب القاضب أنا ليث بني غالب أنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ثم وثب على السبع بقوته وضربه ضربة عظيمة فمات ثم حمل على ورقة فوثب عليه ونادى أنا الليث التمام أنا البطل المقدم أنا قاتل اللنام أنا مفرج الزحام فعند ذلك فر السبع داخل البيت عندما نظر ما حل باخيه وجعل العبد يحد النظر إلى الإمام ويتعجب مما فعل فجرد صحيفة هندية وتقدم إلى السبع يحرضه وهو شدة غيظة على قتل اخيه فحرضه على الإمام فعمد السبع إلى الإمام وعمد الاسود إلى ورقة يريد قتله قبل قتل الإمام فقال ورقة للاسود مهلا وقيت الردى وكفيت شر العد فاني معين لك على امرك لعلي اقتله واخذ راسه إلى الهضام لآمال المرتبة العليا والان اختلطنا بعد الملك الهضام فإن قتلناه فنكون لنا اليد العليا عند الملك الهضام وعند الاله الرفيع فعند ذلك فرح الاسود من مقاله ومال علي الإمام وورقة معه وقال يا ابن أبي طالب إلى أين طالب فانظر إلى نفسك وتدبر امرك فلم يلتفت الإمام وهجم على السلع وضربه ضربة

[17]

هاشمية بين عينيه فلما نظر الاسود ذلك انذهل وعلم انه ان اقدم على الإمام ارداه فرمى صفيحته من يده ونادى يا ابن أبي طالب ارفق على اسيرك واحسن الي فاني لم اعلم بك ولا بمكانك حتى سمعت ذكرك من رفيقك احسن الي يا ابا الحسن احسن الله إليك فلما سمع ذلك منه الإمام قال اعتزل حتى افرغ من عدو الله واعود إليك فيقضي الله بحكمه ما هو قاض ثم عمل على الإمام إلى ورقة وقال يا راس النفاق قد اظهرت يا عدو الله ماكنت له سائرا وما أنت عليه عازم وضامر فانظر الآن لنفسك وتدبر امرك فقد آن اوان قتلك ثم نادى ورقة يا ابن أبي طالب سألتك بحق محمد ابن عمك الا ما ابقيت علي واحسنت بكرمك الي فقال له بعد نفاقك وكفرك ما ابقى عليك هيهات هيهات فلما ايقن اللعين بالهلاك قال يا ابن أبي طالب الظلم لا يفارقك ولا يفارق ابن عمك فحدثني عما ظهر لك أنت في طريقك هذا من سوء فعليك مما لا يرضاه الله ثم افعل ما بدالك فاني اشهد انك أنت وابن عمك ظالمان ساحران فغضب الإمام من مقاله ورقة غضبا شديدا وقال له يا عدو الله تبارك وتعالى قد باعد بيننا وبين الظلم والعدوان وجعلنا من أهل الكرم والاحسان ويل لك ولقومك فانا اكشف لك ولقومك جميع ما رايت في طريقنا اما الرجل الذي اقبلنا عليه وعنده الماء والطعام فانه كان مسموما وانما صنعه للناس حيلة فإذا اكل احد الطعام وشرب من الماء هلك لوقته فيأخذ ماكان معه وقد اهلك بهذه الحيلة خلقا كثيرا فلما اتيته قتلته عن قتل من الناس واهرقت الماء ودفنت الطعام لنلا ياكل منه الطير والوحوش فيهلكوا واما الشيخ الذي اتيناه بالمسجد وعنده الجارية فانها بنته وهو ينكحها للصادر والوارد فإذا نزل عبد سالك طريق عرض عليه بنته فإن أجابه إلى ذلك كان والا يتركه حتى ينام ويسرق منه جميع ما معه فلما قدمت عليه قطعت يديه ورجليه لا جل سرقته ورجمت الجارية لزنائها حتى ماتت وأحرقت المسجد واما هذه الحظيرة وهذا الاسود

وهذان السبعان فيقتل بهما جميع من اتى إليه في هذه الحظيرة وياخذ ما كان معه ثم ان الإمام تقدم إلى ورقة وضربه بذي الفقار على رأسه ففلقه نصفين ووصل

[18]

الى الأرض وعجل الله روحه إلى النار فلما نظر الاسود إلى ذلك حار عقله ونادى يا ابن أبي طالب امدد يدك فاني اشهد ان لا الله الا الله ان ابن عمك محمد رسول الله واني كنت في لجج الضلالة سارج فلا زلت لك منذ هذا اليوم الا مواليا فعند ذلك تبسم الإمام علي كرم الله وجهه وقال له خذ سلب عدو الله وامض حيث شئت مصاحباً للإسلام فقال يا أمير المؤمنين اني لا اكون معك وبين يدك فقال له الإمام هذا جبل بعيد لا يصل إليه كل ضامر سلول فقال الاسود هذا الوصف لا اجده الا لك يا ابن عم الرسول صلى الله عليه [وآله] وسلم أنت زوج البتول وابن عم الرسول سيف الله الرسول الا يا أمير المؤمنين سألتك بحق ابن عمك الا اخبرتني إلى أين تريد فقال له اني والله أريد الهضام بن الحجاف وصنمه المنيع وحصنه الرفيع لاذيقه السم الفقيع فقال الاسود وقد تحول سواد وجهه إلى الاصفرار لما سمع بذكر الهضام فقل له يا أمير المؤمنين لا تعرض نفسك للهلاك فطريق ما ذكرته غير سالك فكيف تصل إليه وبينك وبينه وسبعة قصور وفيها حصون وكلها مملوءة با لرجال والابطال لا يطير عليهم طائر الا منعوه من الجواز حتى يستخبروه ووصولك إلى صنمه ابعد من ذلك وان له جنة ونار ويدخل في جنته من اطاعه ويدخل في ناره من عصاه وانا اخشى عليك مما اعدده من الاحوال فقال الإمام امض أنت إلى حال سبيلك ومعى ربي تعالى ينصرني وهو معى اينما توجهت فهو حسبي ونعم الوكيل ثم قال له ما اسمك فقال له اسمي هولب فقال الإمام اكنم امرى ولا تبيح بسرى وامض إلى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وجدد إسلامك على يديه فقال هولب يا سيدي هذا الذي ضمرت عليه .

(قال الراوى): فعند ذلك ودع أمير المؤمنين وسار إلى المدينة قاصدا النبي عليه السلام أمير المؤمنين ساير بلاد الهضام حتى ولى النهار واقبل الليل فعبد غروب الشمس صلى المغرب والعشاء ثم سافر طول ليلته حتى لاح الفجر فصلى الصبح ثم سار وطاب له السير وقرب الله البعيد وسهل عليه كل صعب شديد .

(قال الراوى): حدثنا أمير المؤمنين رضي الله عنه قال كنت ارى الجبال الشاهقة امامى فبينما أنا اتفكر فى الوصول إليها فما ادري بنفسى الا وانا قد وصلت إليها وعولت

[19]

عليها بحول الله وقوته ولا ادري بتعب ولا الم كل ذلك بحول الله سبحانه وتعالى وبركة رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ثم انشد وجعل يقول شعرا:

طاب المسير بنور الله إذ لمعا *** وبان ضوء الفجر إذ طلعا

(قال الراوى): وسار الإمام علي رضي الله عنه يطوي المنازل ولا يعوج المناهل إلى ان وصل إلى أرض اليمن جعل يكن بالنهار ويمشي بالليل إلى أطراف البلاد وشرف على العمران حتى وصل إلى واد الظل وهو اول الاودية السبعة وهو واد معشب اخضر نعمه عظيمة كثيرة النبات والاشجار والمياه والظل المديد واختلاف الالوان وحسن الاطيار إذا فيه رعاة معهم اغنام ثم نظر إلى صدر الوادي فإذا هو بحصن حصين وهو يسمى حصن حصن الوجيه وهو في صدر الوادي يلوح كأنه لؤلؤة

له نور ساطع واشراق لا مع فلما نظر إليه الإمام حمد الله تعالى وشكره واثنى عليه على تيسير العسير الذي قرب إليه البعيد وسهل كل صعب شديد .

(قال الراوي): ثم انه انحدر إلى ذلك الوادي وإذا عأرضه نهر ماء جار يلوح صفاء بياضه والخيل والانتعام والابل وسائر المواشي مرعاه البرالآخر مما يلي ديار القوم والرعاة مجتمعين ومعهم واحد بيده غابه يصفر بها وقد نظره القوم ويرتجزون الاشعار فنزل الإمام رضي الله عنه إلى جانب النهر وقد نظره القوم فلم يخاطبهم ثم انه حل منطقته وتوضأ وصلى فلما راه القوم يصلي بهتوا إليه ولم يدروا ما هو صانع وقد دهشوا من ركوعه وسجوده وقيامه وقعوده فقطعوا ما كانوا فيه من لهوهم ولعبهم وقال بعضهم لبعض كان هذا من بعض كتب العرب فقال بعضهم انما هو جنة وقد أكثر القوم في الإمام رضي الله عنه وهو مشغول بما هو فيه.

(قال الراوي): فلما فرغ من صلاته مال متكنا إلى جحفته فقال بعض القوم من أين أنت أيها الرجل فقال لهم من طين من حمأ مسنون خلقتي وقدرني الذي يقول للشئ كن فيكون فقال لهم الراعي الم اقل لكم انه مجنون قذفته جنية إلى هذا المكان فترك الراعي قول أصحابه وقالوا يا هذا من أين اقبلت فقال له الإمام من عند مولاي الذي كفاني بنعمته ونعمني بفضله وكرمه فقال الراعي افقير مولاك أم غني فقال الإمام مولى الموالى



علمه بحالي يكفي عن سوالي مالك المشرق والمغرب والبر والبحر والسهل والوعر والارض والسماء عليه توكلت وبه استعين فقال الراعي صدقت وبالحق نطقت اقدم علينا أيها الرجل فالطريق امامك هذه الصفة صفة الهناء المنيع وهو في احسانه بديع ثم انهم سروا سرورا عظيما وفرحوا به فرحا شديدا وقالوا له يافتى بلغت السلامة ومناك وادركت هواك فإن احببت تأتي إلينا فدونك والجسر عن يمينك واجعل راحتك عندنا لتسر بنا ونسر بك فقال لهم الإمام من يهدي الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له واني ارجو ان اكون على الطريق متبع النبي الناصح .

(قال الراوي): فاعرض الاعيان عنه لانهم لم يفهموا كلامه وقالوا له ان كلامك تخليطا وفي لسانك تفریطا ان كلامنا لك ضايح فاعرضوا عنه ورجعوا إلى لعبهم ولهوهم واقام الإمام رضي الله عنه مكانه إلى ان وجب العصر فصلاه وإذا بالرعيان تصارخوا وتصايحوا فقال لهم الإمام معاشر القوم ما صراخكم فقالوا ننظر إلى قطيع الظبا منحدرنا من الجبل فلما نظر الإمام إلى داره ووثب قائما على قدميه ثم نزع اطماره وسلاحه وقال لهم دونكم وحفظ اثوابي وسلاحي فقالوا واين تريد فقال أريد هذه الظباء لعلني انال ظبيا فلم يبق احدا منهم الا وقد ضحك من قوله واستهزا عليه ثم قال بعضهم لبعض الم اقل لكم ان الرجل هانم على وجهه مخبوط في عقله ثم تركهم الإمام ومضى وهم ينظرون إليه ويظنون انه لا يبرح من مكانه لعظم خلخته وكبر بطنه ثم ان الإمام قام حتى توارى عن اعين الرعاة وقد قطع الشعاب وهو يشب من ربوة إلى ربوة ومن شجرة إلى شجرة ثم ادركها وهي في شدة جريها فقبض على اثنين منها واحدة بيمينه واخرى بيساره واقبل كانه الريح الهبوب والظباء في يديه فلما رأى الدعاة الظباء في يديه كبر الإمام في اعينهم ولم يزل الإمام في اعينهم لم يزل الإمام سابر حتى اتى سلبه واستخرج سكيناً وذبحهما وسلخهما واجاد غسلهما ثم حفر حفرة والتفت يمينا وشمالا يطلب حطبا فلم يجد شيئا من ذلك الحطب ورمى في الحفرة حتى ملاها ثم قدح زناد وخرج نارا اضرمها في ذلك الحطب فتاججت صار جمرا فكشف الجمر عن الحصى واخذ الطبيين ورماهما في الحفرة وردم عليهما النار من فوقهما هذا والرعاة

ينظرون إليه ويتعجبون من فعله وهابوا ان يتقدموا إليه وامسكوا عن سؤاله فلما فرغ الإمام مما اراد غسل يديه ولبس ثيابه وقعد ينظر غروب الشمس لأنه كان صائما فقال الرعاة يافتى نحن ضيوفك الليلة لتطعمنا مما اقتنصت من الضبا فقال الإمام انما يضاف من يكون قاطنا بالديار فقالوا له سالنك بالهك الذي تعبد الا ما عرفنا باسمك الذي تعرف به لاننا رأينا منك ما لم نره من احد من غيرك فقال لهم اسمي زيد وكانت امه سمته زيدا وسماه ابوه حيدر وسماه النبي عليا لما امره الله ان يسميه بذلك الاسم الحسن فقالوا له يافتى لقد اعطاك الله من الشجاعة ما لم يعطيه لاحد وبقي القوم يتحدثون فيما بينهم كذلك إذ وقعت صيحة من الوادي وتتابع الصياح فجعلت الرعاة ترمد اغنامها يرومون ان يجمعوها واسرع بعضهم إلى بعض إلى أهل الحصن والإمام ينظر إليهم وإذا بخيول مسرعة فظن الإمام ان أهل الحصن فرحوا له فلم يكن من امره الا انه شد منطقه وقبض على جحفته فاقبلت الخيل افواجا في الوادي وكانت اربعة الاف حمية لأصحابهم ان يطرقهم طارق وفرت جميع الرعاة في جميع خبايا الوادي يبكون ويتصارخون فقالوا له يافتى انما نبكي على انفسنا لان سيدنا الاعظم الهضام إذا اخذ له مال رجع بالقيمة بمن كان قبلنا من الرعاة وقد رأيت ما دهمنا كثرة الخيل فقالوا ولو كان مليكنا الهضام والهه المنيع لما وصلوا إليهم هؤلاء الاقوام ولم يخلصوا الغنائم من ايديهم لانهم قد عرفوا بالبليّة وصاحبهم قد يتم العرب ولا تقتصر يده الاعن بلدة واحدة فقال الإمام ما هذا

البلد التي لا يضرب إليها فقالوا له مدينة بيثرب مسكن عبد الله بها فارس لا كالفرسان ويقال عنه انه مفرق الكتاب وهازم الجيوش ومفرق المواكب الجسم الغاضب والليث الغالب والبحر الساكب ليث بني غالب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال الراوي فلما سمع الإمام هذا الكلام تبسم ضاحكا وقال أيها الراعي ما اسم هذا الرجل وما الذي يعبد واين مسكنه فقد حدثتني بعجيب فقال يعرف بالمغضب واما معبوده فانه

[22]

صنعه من الجزع اليماني وكانت العرب تأتي إليه والى صنمه ليخبرهم بجميع ما يسألونه عنه فلما كان يوم من الايام والناس محدقون به ويسألونه وقد شكوا إلى ملكهم المغضب علي بن أبي طالب لما فعل بسادات العرب من القتل فقال لهم يا قومي تأخروا عني لا تقدم إلى الهي العظيم واشاوره لكم في هذا الغلام وفي المسير إليه فتأخروا عنه، .

(قال الراوي): فعند ذلك تقوم الملك المغضب إلى الهه وهو معتمد فيه واستشاره في حرب علي بن أبي طالب وقال الهي قد سمعت ما ذكرته العرب من خبر هذا الغلام وشجاعته وشكوا من فعالك وقد شكونا إلى واليك فهل لك ان تشير لنا ونسير إليه ويقاتله وأنت اخبر منا بذلك فمهما امرتنا به امتثلناه .

(قال الراوي): فلما فرغ من كلامه دخل الشيطان في جوف الصنم ونهى المغضب عن ذلك وهو يظن ان الكلام من الصنم ثم تملل وارترز وانشد يقول دع ما قصدت من ارتكاب مهالك ومكاره مقرونة ببلاء لاتطلبن لقاء علي انه وحش الفلاة كذا لسفك دماء قال الراوي) فلما سمع المغضب والعرب كلام الصنم حزنوا من كلامه فخاف الملك وخاف العرب ورجعوا عن عبادته وقالوا الهك يذل ولا ينصر فهو اولى بان يدك ويحرق فتفرقوا عنه فعند ذلك تسامعت العرب والقبائل بملكنا الهضام وصنمه المنيع الرفيع وقيامه على طول الايام معلقا في الهواء فعظفت العرب جميعهم إليه وراوا منه معجزات وكلمهم بالدليل ووعدهم بهلاك علي بن أبي طالب ودا ان يكفيهم مؤنته فانصرفت وجوههم إليه واقبلوا بجمعهم عليه فعظم ذلك على المغضب واستجد العريان وبذل لهم الاموال فجرى بينه وبين صاحبنا الهضام حربا شديدا ما شهدت العريان مثله واقاموا مدة من الشهور يقتلون حتى فنى أكثر الجماعات واقترقوا على ماهم عليه من العداوة والبغضاء وبقي كل واحد منهم يغير على صاحبه كما ترى وكانت العريان سعت بينهم الصلح على انهم يجتمعون جميعا ويسيروا إلى علي بن أبي طالب ولم يكن قد انفصل بينهم أمر فتبسم الإمام علي ضاحكا من قوله ثم اطرق براسه إلى الأرض ساعة وهو متفكر في أمر الحصون التي بينه وبين عدو الله الهضام فاجمع امره على ملاقات المغضب وقومه واقبل

[23]

على الراعي المخاطب له وقال إلى أين هؤلاء القوم سانرون فقال له يافتي اما هو فبيننا وبينه فرسخين في مضيق بين جبلين يجتمعون السابقي المضيق ثم يقع والشراء فيها لياخذ كل واحد ما يخصه وينصرف إلى محل سبيله أو يقصد كل واحد منهم مكانه ومحل نومه فقال الإمام يا ويلكم فما منع صاحب هذا الحصن عن لحاقهم فقالوا له يافتي تجلى الهنا با لبركة ان في كل حصن الف رجل ولو اجتمع كل من في الحصون لكان لكان هو كفنا للجميع فلما سمع الإمام ذلك الراعي المخاطب له اخذ سيفه ودرقته وحزم وسطه بمنطقته ثم اتى إلى جانب النهر الاخر وكان عرض ذلك النهر أكثر من عشرين ذراعا ففزع الرعاة بما عاينوه وذهلن عقولهم خوفا من الإمام فقال لهم مهلا يا قوم ان ينالكم مني الاخير ان شاء الله تعالى فإن غبت عنكم حتى جن الليل فاخرجوا ما في الحفيرة وكاوه فانتم احق به من النار فقالوا إلى أين تريد فقال لهم أريد ان الحق القوم فعسى ان انال

منهم خير فظن الرعاة انه يطلب منهم رفا أو معاونة فقالوا له يا فتى ان وقعت عينهم عليك لم يسمعوا كلامك دون ان يسفكوا دمك وهم اربعة الاف فارس وملكهم المغضب أعظم من الجميع وأكثرهم اذية ومع ذلك ان وهبوك شيئا اخذ منك فلا تعرض نفسك للهلاك فقال لهم لامام لا صبر لي عن القوم لابد من اللحاق بهم فلم يكن غير قليل حتى لحق با لقوم ونظر الخيل والاسنة تلمع فقصر الإمام في مشيه حتى دخل القوم في المضيق والسابعة معهم وليس لذلك المضيق منفذ غير هذا الذي دخلوا منه با جمعهم اتى الإمام إلى فم المضيق وجلس تحت درفته جانبا من وراء صخرة قابضا بيده على سيفه وهو يسمع حديث القوم في بيعهم وشرانهم وقد غابت الشمس فصلى الإمام المغرب في مكانه وقال اللهم ارزقني من عندك فطرا حلالا طيبا ولم يزل القوم كذلك إلى ان دخل الليل وطلع القمر وامتلات الأرض بنوره فبينما هو كذلك إذ سمع بعار غنم ورغاء ابل فإذا هو بشويهاة وفرسين ومطيتين سرج وفارس معتقل برمحه ولامته فقال الإمام يوشك ان هذا قسم هذا الفارس فكن الإمام إلى ان خرج الفارس وما معه من فم المضيق فلما قرب

[24]

الإمام لم يمهل عليه وضربه فرفع على الأرض قطعتين فاخذ الإمام جميع ما معه وتركه ورجع إلى مكانه فلم يكن الا هنيهات وقد اقبل على آخر على مثل وهو ينادي بصاحبه المعين قف حتى اجمع سهمي بسهمك ونسير جميعا فلم يرد عليه فما استم كلامه الا وقد وافاه الإمام ولوى شماله إلى يمينه وقبض عليه ودق عنقه في الأرض وضم الجواد إلى الجواد والماشية وجر الرجل الاول من الطريق إلى خارج المضيق وجر صاحبه إليه ورجع إلى مكانه فلم يستقر فإذا هو بصهيل خير ورعاة ابل وبعار غنم وثلاثة فوارس من وراء تلك الاغنام والابل والخيل فتفكر الإمام فيما يحتال به عليهم ساعة حتى خرجوا من المضيق فأسف الإمام من خروجهم وخاف ان ينبههم قبل ان يفرغ منهم فتقدم الإمام إلى اقدمهم وضربه بالسيف على مرق بطنه فسقط إلى الأرض نصفين فالتفت إليه صاحباة فوثب الإمام عند التفاتهما وضرب اقدمهما فجدله وأراد الثالث فسبقه إلى داخل المضيق وهو صارخ مستغيث بأصحابه ويقول ادركوني فقد هلك أصحابكم وهلكتم جميعا فاطلبوا لانفسكم الخلاص فقالوا باجمعهم يا ويلك ما الذي دهاك فقال يا قوم انه باب المضيق موت نازل وهو لكل من خرج منكم قاتل فصاح به المغضب وقال يا ويلك وساله عن حاله فاخبره بما رأى وعاین من أمير المؤمنين فقال له السيد رأيت من شجاة مزعجات لا تكون لبشر قط ولكنه سماوي الفعال فصاح به اللعين وقال لعل ان يكون معه جيش كثير فقال يا مولاي ما معه غيره وهو اسعى على اقدامه إذا وثب جاوز الفرس بالوثبة ويخلع الرأس من الرقبة فصاح به المغضب وقال لا أم لك لعله يكون من بعض عمار هذا المكان ثم التفت إلى رجلين من قومه عرفوا بالشدة والقوة والمراس فقال لهما المغضب انظر إلى ما يقول الجبان فنهض على اقدامهما وركبا خيولهما وسلا سيوفهما إلى ان قرب من باب المضيق فصارخا من الطارق لنا في هذا الليل الغاسق المعترض لنا فإن كنت من الجن فنحن من مرده الجن وان كنت من الانس فنحن من عتاة الانس فمن أنت يا ويلك انطلق قبل أن نرميك بالعطب ونحلك بالويل والغضب هذا

[25]

والإمام ساكت لم يرد عليهما جوابا وهما على وجل الإمام قد لصق بالارض إلى ان وصلا إليه وحاذياه بفرسيهما فوثب إليهما كالاسد وقبض بيده على رجلين من الفرسين فاندفق الفرسان مثنائي واندق صاحبه وسلط الاول على أم رأسه فانشج شجة عظيمة من حيث خرج من المضيق صارخا مستغيثا بقومه فبادروا إليه وقالوا له ما ورائك قال ورائي البحر المغرق والموت

المفرق فقالوا صف لنا ما رأيت قال فاني رأيت ما لا يقدر القارئ على وصفه فقالوا ما هو لا أم لك فقال هل رأيتم رجلا يحمل فرسا براكبه، قالوا لا قال هذا الرجل لحمل فرسا براكبه ثم صدم به ال آخر فدق الفرس وراكبه فلما سمع القوم ذلك ذهلوا وثاروا قالوا كيف يكون ذلك وكيف يتفق ان رجلا يفعل هذا الفعل فقال هاهو بباب المضيق فمن اراد ان يعلم الأمر بالتحقيق فهذا بباب المضيق فينظر إلى ما نظرته من التصديق فلما فرغ من قوله حتى وثب المغضب بنفسه وصاح عليه وضربه بسيفه فقتله وقال له قبحتك اللاتي والعزى تبا بك ولمن ذكرت من الرجال هذا من لا يخاف سطوتي ثم قال احتفظوا على انفسكم حتى اعود إليكم فقال له قومه أيها الملك معك اربعة الاف فارس من صناديد العرب والسادات وتقدم أنت بنفسك دونهم ونحن نعلم ان فيك الكفاءة لاهل الأرض في الطول والعرض ولكن تخشى عليه ان يكون هذا من عمار الجان او من الجن الاشرار فنخاف عليك من طوارقهم فقال لهم بحق اللاتي والعزى لا بد لي من الدنو إليه فإن كان من الانس قتلته وان كان من الجن ابدته ثم انه حزم وسطه وجرده سيفه وكان عدو الله عظيم الخلقة كبير الجثة شديد الهمة فتوجه الا إلى الإمام وهو يبربر كالاسد وينشد ويقول:

أيها الطارق في ليل غسق *** وفاتكا فينا بسر قد سبق

اني أنا المغضب اسمي قد سبق *** اقطع الهامات في يوم قد سبق

(قال الراوي): فلما سمع الإمام قول المغضب علم ان كبير القوم ورئيسهم فقال هذا والله بغيتي ومرادي اللهم سهل ساعته قال واقبل عدو الله منفردا

[26]

بنفسه حتى وصل إلى المضيق فنظر الي القتلى وهم مجدلون فتحقق الأمر وارتعدت اوصاله وقال وحق اللاتي والعزى لقد صدق صاحبنا فيما قال وانما ظلمناه بقتلنا اياه ثم انه وقف بباب المضيق وهو ذاهل العقل وقد سمعه الإمام رضي الله عنه تعالى عنه وهو يقول وحق اللاتي والعزى ما فعل هذه الفعال احد الامم السابق ولا قوم عاد وثمود ولا يقدر على ذلك الا الغلام الذي يقال له علي بن أبي طالب فلما سمع الإمام مقالته تقدم إليه وهو على مهل فلما دنا منه ووصله إليه نظره عدو الله فتحير فبينما هو كذلك إذ وثب إليه الإمام وهجم عليه ولوح بحمامه وقال ويل لك ولابانك واجدادك ابا المنعوت بهذه الفعال أنا مبدي العجائب أنا مظهر الغرائب أنا البحر الساكب أنا علي بن أبي طالب .

(قال الراوي): فلما سمع عدو الله ما قاله الإمام علم انه لا محالة فارتعدت فرانصه وايقن بالهلاك فصرخ با على صوته وقال يا قوم ادركوني قبل ان اهلك فنهلكوا جميعا فلما سمع القوم صراخه أجابوه فلما نظر الإمام سرعه القوم هجم على عدو الله وقد امسك جوارحه فلم يستطع فوفاه الإمام بضربة هاشمية علوية على صدره فمسحبه صدره وذراعيه فسقط عدو الله إلى الأرض قطعتين وقالوا وحق اللاتي والعزى مالنا بقتال الجن من طاقة فقال رجل منهم اسكتوا حتى اخاطبه فإن كلمني عرفته ايش يكون ان كان انسيا أو جنيا ثم تقدم إلى ناحية فم المضيق وقال أيها الشخص المرید اخبرنا بما تريد .

(قال الراوي): فلما سمع الإمام علي رضي الله تعالى عنه ذلك أجابهم وقال أريد منكم كلمة النجاح والفوز والصلاح وهي ان تقولوا معي باجمعكم لا اله الا الله محمد رسول الله فلما سمع القوم ذلك قالوا وحق اللاتي والعزى ما هذا الا جنبي وقال بعضهم ما هذا الا بشر مثلكم آدمي وما نرى من الراي إلا أن تكون في مكاننا حتى يصبح الصباح فينكشف لنا هذا الأمر فلما اجتمع رأيهم على ذلك تأخروا إلى ورائهم في داخل المضيق فلما رأى الإمام رضي الله عنه تأخروا وماهم عازموا عليه تقدم إلى عدو الله وجز

راسه ثم قام فذبح كبشا من الغنم التي اخذها اولا وسلخه واضرم نار وشواه واكل حتى اكتفى وحمد الله وقام بين يدي الله تعالى راکعا وساجد حتى طلع الفجر فصلى صلاة الصبح ثم تحزم واخذ سيفه

[27]

وحجفيه ونزل إلى فم الوادي فلما طلعت الشمس نظر إليه القوم با عينهم وهو في فم المضيق يرمق إليهم كالذئب إذا عين قطيع غنم فقال بعضهم وحق اللاتي والعزى ما هو جني ولو كان جنيا لغاب عند انتشار الصباح وما هو الا منفرد بنفسه يريد ان يقتلنا ونحن اربعة الاف فارس والصواب ان نتقدم إليه عشرة عشرة .

(قال الراوي): فتقدم للإمام عشرة من فرسانهم فلما وصلوا إليه حملوا عليه فقتل منهم سبعة وبقي ثلاثة فولوا منهزمين فقال لهم جنادة ابن عامر وكان قد تقدم عليهم بعد المغضب انطلقوا إليه عشرين فأتوا عليه واقتربوا العشرون فلم تكن الا ساعة حتى قتل منهم سبعة عشر وهزم الباقون فجعل الإمام كلما قتل منهم رجلا يجره برجله حتى يخرج من المضيق ليتسع له المكان وقد تزايد صيانة القوم وشاوروا بعضهم بعضا فاجمعوا على ان يحمل عليه مائة فارس فحملوا باجمعهم كحملة رجل واحد ومقدمهم جنادة ابن عامر فصاح على الإمام الا اخبرنا وما الذي تريد فقال لهم اصم أنتم لا تسمعون يا ويلكم أم عمي لا تبصرون الم اقل لكم اني عبد الله وابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنا مفرق الكتائب أنا ليث بني غالب أنا علي بن أبي طالب .

(قال الراوي): فلما سمع القوم بذكره خافوا ورجفت قلوبهم وقالوا يافتى عجبنا من ان تكون هذه الفعال لغيرك والان فانت صاحب هذه العجائب فاعلمنا بما تريد ونحن معك على ما أنت عليه فقال لهم أريد منكم ان تقولوا باجمعكم لا اله الا الله محمد رسول الله وانا انصرف عنكم راضيا وفي الاخرة مستشفعا ولمن عاداكم معاديا قال فنظر بعضهم لبعض وهموا بالإسلام ولكن خشوا جنادة بن عامر المقدم عليهم فقال جنادة الذي ذكرته دونه بعيد ودونه ضرب شديد فلا نكون لك طائعين وانما نحن لك متقدمون ثم تقدم إليه جنادة وقال لعبد كني معي معنا على كتافه جردا اسياها وحملا على الإمام رضي الله عنه فلما قربا منه رفع الإمام درقته وصدم بها صدر جنادة فادهشته الصدمة ثم على سراويله ومراق بطنه ورفع في الهواء والتفت إلى العبد وقد ولى هاربا فاخذ سيفه وقصده قال إلى أين يا ابن السوداء فازعجه ثم بادره فضربه على راسه فسقط على الأرض قطعتين .

(قال الراوي): فلما نظر القوم إلى ذلك تأخروا إلى ورائهم وقالوا لبعضهم

[28]

نحن نطاوله إلى ان يضجر وليس معه ماء ولا زاد فإذا انصرف عنا مضينا إلى حال سبيلنا فسمعهم الإمام وعرف ما قد عزموا عليه فقال لهم يا ويلكم ان كنتم ماتم مطاولتي حتى انصرف عنكم فذاك امل بعيد وعشاي اغنام تقوم بي اياما كثيرة ولم يقطع الله رزقي ما دمت حيا وان فرغت هذه الاغنام يرسل الله الي الطير فارميه بالنيال فاكل لحمه واشتق بالريح فيغنيني عن الماء وانا اظهر لكم بيان ذلك فاخذ نيله ووضعها في قوس ورمى بها طيرا طائرا فوقع إلى الأرض طريحا فاخذه وذبحه وازال ريشه وشواه واكله فلما راوا منه ذلك تيقنوا ان لا طاقة لهم به فالقوا اسلحتهم اجمعين واستسلموا إلى أمير المؤمنين ونادوا با جمعهم الامان الامان يا ابن أبي طالب ابق علينا واحسن بكرمك إلينا فقال لهم ان كنتم صدقتم في قولكم فليكتف بعضكم بعضا حتى انظر حقيقة امركم قال فاقبل القوم يكتف بعضهم بعضا حتى اوثقوا انفسهم جميعا .

(قال الراوي): فعند ذلك تقدم الإمام رضي الله عنه وقال لهم لكم واحدة من اثنين اما ان تقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله واما ان تموتون فاسلم مع الإمام من القوم الف رجل وابو عن الإسلام سبعمانه رجل وقالوا القتل احب إلينا فقال الذين اسلموا

نحن نشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقالوا له يا امام لولا ان الهك اله عظيم قدير لما فعلت ذلك بنا واما الآن فقد رضيناها إلهنا.

فقال لهم الإمام لا يصلح إسلامكم عندي حتى تضعوا السيف في أصحابكم الذين ابوا عن الإسلام فوضعوا السيف فيهم إلى ان قتلوهم عن اخرهم فجمع الإمام الاموال بعضها وحازها واقبل عليه القوم الذين اسلموا معه وقالوا له يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اجعلنا معك نعينك على اعدائك فقال لهم الإمام دعوني في شغلي وسيروا إلى منازلكم ادعو من بقي منكم إلى الإسلام فقالوا له سمعا وطاعة ولو امرتنا ان نطلب الهضام لما يكبر علينا في رضاء الله ورسوله ورضاك فقال لهم الإمام رضي الله تعالى عنه أنا له طالب وسترون من نصر الله ما يسركم فقالوا له يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وهذه الغنائم ما تصنع بها فقال اني سائر بها إلى ما شاء الله يفعل فيها فقالوا له افعل ما تريد فما منا معترض لك فقال الإمام رضي

[29]

الله عنه أريد منكم رجال يساعدوني على سوقها فما استتم كلامه حتى برز له خمسة رجال من شجعانهم وقالوا يا بن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نحن غلمانك وخدامك ومهما امرتنا به امتتناه وتقدموا إلى تلك الغنائم فساقوها بين يدي الإمام رضي الله تعالى عنه وهو سائر مسرور بما فتح الله على يديه ولم يزالوا سائرين إلى ان دخلوا وادي الظل الذي فيه الرعاة فعرفوا الإمام رضي الله عنه ونظروا سائقة الغنم الخمس رجال ورأس عدو الله المغضب مع الإمام فلما تأملوا ذلك فرحوا فرحا شديدا وكانت الرجال لما اخذت مواشيهم كبرت بليتهم خوفا على انفسهم من أصحابها وايقتوا بالقتال وقال اهربوا وقال بعضهم كيف نهرب ونترك اهلنا وقال بعضهم على رسلكم حتى ننظر أمر صاحبنا ولقد رأينا منه شجاعة عظيمة اما رأيتم كيف قفز وعدي النهر بوثة واحدة إلينا وقال بعضهم يا ويلكم تتوهمون الاباطيل من الاماني وتظنون ان رجلا واحد يصل إلى اربعة الاف فارس شجاع عوابس لم يزل معوم على ذلك منقلبون إلى ان ذهب النهار فباتوا قلقين بقية ليلتهم إلى ان برق ضياء الفجر وطلعت الشمس فبينما هم كذلك الرجاء والامان إذ طلع من بطن الوادي طالع فناهوه فإذا هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والغنائم بين يديه والخمس رجال يسوقونها معه فلما رأى القوم ذلك بهتوا وقالوا انه ما خلصها من المغضب وقومه الا بعد قتال شديد وصاروا في هذا ومثله إلى ان قرب منهم الإمام رضي الله عنه فلما وصل إليهم قام رجل من رجالها يقال له جنبل بن وكيع وقال أنا اساله لان اللسان يقصر عن وصف هذا الانسان الجليل المقدار ولولا ارادنا ماكان نزل عندنا ولو كرهنا لقتلنا عن آخرنا واخذ سلبننا ومواشينا ولكن لا بد ان اخاطبه واجاوبه القاصد للمقصود فإن خاطبني لا يخفى على ما عنده فقالوا له افعل ما بدالك وما تريد .

(قال الراوي): فتقدم جنبل بن وكيع إلى الإمام رضي الله عنه ورحب به وقال يافتي الفتيان ان الذي بين يديك من الغنيمة هولاك وأنت احق به من غيرك لاننا يا مولانا تحت الرجاء لكرمك متطاولون ان مننت فلك ما احسنت وان فعلت

[30]

غيرذلك فيحق مافعت لاننا يا مولانا لم نقم بشئ من واجبك ولم تكن لنا معرفة بك حتى عرفنا باسمك هاتف بالامس وزجرنا زجرا شديدا واخبرنا بك وباسمك واعلمنا بانك البطل الصبور زوج البتول وابن عم الرسول مفرق الكتاب ومظهر العجائب الحسام القاضب الاسد الطالب ليث بني غالب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ثم ان جنبل بن وكيع انشد يقول أنت الذي بفعالك يضرب المثل ومن قبالك يخشى السهل والجبل أنت المنكس راس القوم من فزع بذى الفقار ونار الحرب تشتعل من سالموك ففي

عيش وفي رغد ومن يعاديك مقضى دونه الامل فإن عفوت فاهل العفو أنت وان هلكت يا ضرغام يا بطل الحق لاح بنا لما حلت بنا وفي يدك رجاء الخوف والامل .

(قال الراوي): فلما سمع كلام جنبل بن وكيع تبسم الإمام ضاحكا من قوله لأنه فصيح اللسان وقال له يا ويحك من ذلك علي اسمي فاعلمه جنبل بقول الهاتف وما كان من امره فعند ذلك نظر الإمام إليهم فرأى احوالهم قد مالت إلى الاصفرار من شدة ما اصابهم من الخوف من هيئة الإمام رضي الله تعالى عنه فلما رأى الإمام كرم الله وجهه منهم ذلك قال لهم ابشروا يا قوم بما يسركم فنحن باب السلامة ولنا الشفاعة في الناس يوم القيامة دونكم وسايقتكم وليأخذ كل واحد منكم ما كان يريعه لسيدته وارجوه على مكاتم فعند ذلك ردت الوانهم إلى الاحمرار ونهض كل واحد منهم واخذ ما كان يريعه لسيدته ثم قبلوا نحو الإمام كرم الله وجهه وقالوا يا سيدنا الا تستعين بنا على أمورك وتستهزئنا في حوانجك لنا جزيل على بعض وان كنا لا ندرك مداركك فصرفنا يا مولانا إلى أين تريد والى من تكيد فقال لهم الإمام يا قوم اني أريد صاحبكم الملك الهضام الجحاف وصنمه المنيع الذي فتن به العباد فنظر القوم عند ذلك بعضهم لبعض وقالوا يافتى من كانت هذه الفعال فعالة ما يبعد عليه ما يطلبه ولكن صاحب الهضام في جمع غفير وعسكر جسيم وحصون ما نعمة فدبر ذلك بحسن رايك وها نحن معك فيما تريد ان استعنت بنا اعناك لما وليتنا من الاحسان والتكريم

[31]

الذي بداننا به .

(قال الراوي): فتبسم الإمام رضي الله عنه ضاحكا من قولهم وقال اني لا استعين الا بالله وبالؤمنين قالوا له يا مولانا نفديك بالاباء والامهات اخبرنا عن ماهي كلمة الايمان قال هي كلمة خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان وهي ان تقولوا معي با جمعكم لا الله الا الله محمد رسول الله قال جنبل بن ركيع اما أنا فا قولها غير متأخر عنها لما قد ظهر لي من الايات والبراهين لولا ان لك الها واحدا عظيما وهو على كل شيء قدير ما وصلت إلى ما وصلت وانا يا مولانا اشهد ان لا اله الا الله وان ابن عمك محمدا رسول الله فلما نظر أصحابه إلى إسلامه واسلموا جميعا وحسن إسلامهم كانوا واحدا واربعين رجلا رعاة ففرح الإمام بهم وباسلامهم وقال لهم يا قوم لا يصح إسلامكم الا بكف قناع الحق وبذل السيف في أصحابكم فقالوا والله يا سيدنا لو امرتنا ان نقتل آبائنا واولادنا في رضاء الله ورسوله ورضاك لفعلنا ذلك فشكرهم الإمام ودعا لهم وقال يا قوم هل عند أهل الحصن علم باخذ سائقكم قالوا نعم وقد سبق الخبر من حصن إلى حصن حتى انتهى إلى الملك الهضام فارسل لنا هجائين واوعدنا بالعذاب وبعده القتال وقد اغتاط غيظا ومع ذلك فهمو من بقية التباعية وان الملك المنتقم من جماعته وان له جثة يخاف من مكره فلذلك ابعدته وجعله في اول حصونه فلما سمع الإمام منهم ذلك الكلام تبسم ضاحكا وقال لهم إذا رجعتم سائقكم هذه إلى حصنكم ووصلتم إلى صاحبكم فلا تكشفوا له عن خبري ولا عن اسمي فعسى ان يخرج الي وان يقضي الله ما هو قاض فقال جنبل يا سيدي ان خرج معه قومه وأصحابه وجميع عشائهم وهم فرسان في القتال ونخاف ان يحول بينك وبينه حائل فتلومنا على ذلك فقال لهم الإمام ان الله فعال لما يريد فإذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ثم اقام القوم بقية يومهم إلى ان دخل المساء فرجعوا بالسابقة إلى حصنهم وكان اهلهم قد قطعوا الصياح في جميع جهات الحصن بان السايقة رجعت فجاء القوم ولم يعلموا ما كان السبب في ذلك

[32]

فلما سمع القوم بذكر الخبر وكان المنتقم في هذا الوقت متكنا فاستوى جالسا وقال يا ويلكم ما هذا الأمر العجيب فقالوا انه بلغنا عن الرعاة انه لما غار عليهم المغضب واخذ المال وساقه ومضى به كان عندهم رجل غريب عابر سبيل فما زال في اثر القوم حتى دخلوا المضيق فسد عليهم باب المضيق وما زال يقتل منهم واحدا بعد واحد حتى خرج إليه المغضب بنفسه فقتله وحز راسه وجاء بها معه واتي بالمال العظيم معه وقتل منهم خلقا كثيرا واتي بسايقنا سالمة ودفعها إلى الرعاة باجمعها فلما سمع المنتقم هذا الكلام فهقه بالضحك الشديد حتى كاد ان يقع على قفاه وقالوا كذبوا وسق اللاتي والعزى وحق الاله المنيع ولا اظن الا انهم هموا باخذ السايقة فسد عليهم الطريق الالهة المنيع فلم يجدوا لهم منفذا ينفذون منه فرجعوا إلينا بهذه الحيلة ثم أمر باحضار الرعاة فاحضروهم بين يديه وقال لهم باي حيل أردتم اخذ السايقة لانفسكم وضربتم عنا الحيلة وحق المنيع ان لم تخبروني وتصدقوني الا قتلتكم جميعا .

(قال الراوي): فعند ذلك نظر بعضهم إلى بعض وتناولوا إلى جنب بن ركيع لأنه كان سر الجواب فقال اعلم أيها السيد العظيم ان من قطعت انامله سرى الالم في جسده جميعه ومن حاد عن طريق الحق وقع في المضيق وما كنا نخرج من بلادنا ونترك اولادنا والهنا المنيع فيرمينا في المهلاك والدواهي ويحرقنا بناره وليعلم الهنا المنيع حقيقة امرنا والخافي سرنا فلا تكذبنا أيها السيد في قولنا فإن الذي طرفنا هو من عطفات المغضب الذي كان يطرقكم كل عام فلا بقيتم ترون له غراه ابدا مادام الجديان وبقي الزمان فقد قتله وقتل معه خلق كثير من قومه فقال يا ويلكم ومن فعل بهم هذا الفعال ومن ذا الذي قدر عليهم قال فعل بهم رجل غريب من العرب وانا اصفه لك كاتك تراه هو غلام بطين تجلس الوحوش حواليه للمباشرة وحسن منظره ومنطقه بالصواب ويقلع الشجرة الراسخة الازلية .

(قال الراوي): فلما سمع المنتقم وصف جنب بن ركيع عظم ذلك عليه وصفه من شجاعة الإمام رضي الله عنه ثم قال المنتقم ويحك يا جنب واين يكون هذا

[33]

الغلام قال هو قريب من بلادنا فلما سمع ذلك المنتقم صرح في قومه وعشيرته فاجتمع إليه القوم وحضروا بين يديه فقال يا قوم ان هذا الرجل الذي رد سائقكم وقتل عدوكم قد انتهى من خيرة ما لم يسمع والطاعة يا أيها السيد نحن لكلامك مطيعون ثم توعدوا بالخروج إليه في غد وكانت تلك الليلة التي قدم فيها الرجال فلما تكامل القوم خرج خلفهم المنتقم وهو مشتهر بلبس الاحمر والاصفر فركب جواد من عناق الخيل وقد لبس افخر ما عنده من لامة حربيه وخرج من حصنه بجميع قومه وسار المنتقم امام قومه وهو يرتجز وينشد:

ليس الهجوم على الرجال بعزة *** يدعي شجاعا مهلكا بمناجل

بطل شجاع نازل بفناننا *** أوفى العدة نائل أو نازل

سيروا بنا نلق الغلام بجمعنا *** لنراه حقا مثل قول القائل

(قال الراوي): فعند ما نظر جنب إلى ما عزم القوم قال يا قوم اني أريد ان اسبق القوم إلى الإمام رضي الله تعالى عنه فاخبره بذلك ثم سار جنب وقد حاد عن الطريق وسار في بعض الشعاب إلى ان وصل إلى الإمام فسلم عليه فرد عليه السلام وقال له الإمام ما وراعيك يا جنب فقال سيدي حفظك الله وانعم عليك انظر إلى امامك وقد اتاك المنتقم بجميع قومه فقال الإمام انه غنيمتي ورب الكعبة ولكنه قد عظم عليك ما رأيت من الجيوش يا جنب والذي بعث ابن عمي رسولا وبالحق بشيرا ونذيرا لو خرج الي ملككم بجميع جيوشه لكنت القاه بمفردي فقال جنب يا سيدي ان الهضام إذا ركب يركب معه خمسمائة الف عنان سوايك في

النزال قومه خاصة غير ما يتبعهم من الرقيق والغلمان والعبيد فكيف تلقاه ومعه هذا الجميع كله فقال له الإمام والذي بعث ابن عمي بالحق بشيرا ونذيرا انه إذا برز إلى الهضام اتلقاه وحدي ولو يكون معه جميع من في الأرض من الطول والعرض فإن ثقني بربي جل وعز فقل واوز

[34]

فقال سيدي المنتقم لم يترك في الحصن رجل يرجى بل خرج بهم إليك والمنتقم بعد يمثلهم فانظر ماذا ترى وما تأمرني به أنا وأصحابي فانا لكلامك سامعون فلما سمع الإمام ذلك جازه خيرا ثم قال له بل الذي امركم به ايسر مما ذكرت واقرب مما إليه اشرت فقال جنبل ما الذي تأمرني به قال الامام م رضي الله عنه يا جنبل خذ أصحابك الذين اسلموا معك وادخلوا الحصن واغلقوا الابواب واوثقوها من داخل ولا تدعوا احدا يدخل عليكم وانكروا امركم واتركوني أنا وهذا الجيش وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ينصر الله من يشاء وهو على كل شيء قدير فلما سمع جنبل ذلك من الإمام التجم عن الخطاب فقال يا سيدي نخاف ان يسمع بذلك الملك الهضام فيأتينا بجيوشه فقال له الإمام يا جنبل ان لك نفسا واجلا مقسوما فإذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون .

(قال الراوي): فلما سمع جنبل من قول الإمام رضي الله تعالى عنه قال ان كان الأمر كما ذكر فو الله لامتلئ لما امرتني به ثم قال جنبل لاتباعه ان كنتم آمنتم بالله ورسوله واتبعتم وليه فاطيعوه واسمعوا قول الإمام من الخلود في جنات النعيم وهانت عليهم ارواحهم في مرضات ربهم وقالوا يا جنبل ما الذي تريد ان تصنع فقال جنبل ادخلوا الحصن على بركة الله ورسوله واغلقوا باباه واوثقوه وتحصنوا فيه ولو دهمكم الملك الهضام بجيوشه وعساكره ما وصل إليكم لأنه حصن منيع الطعام والماء فإن طال بكم الحصار تنالوا منه وان حدث في هذا الغلام حادث فإن ابن عمه محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

(قال الراوي): فلما سمعوا مقالة جنبل وثبوا إليه وقالوا له أنت علينا مشير فسر بنا على ما تحب وتختار ثم ان جنبل اخذهم وتقدم بهم إلى الحصن فلما وصلوا إلى باب الحصن وجدوا عليه جمعا كثيرا من النساء ينظرون ازواجهن واولادهن وملكنهم المنتقم فلما وصل جنبل وصحابه اليهن جعلوا يفسحوهن على الباب لداخل الحصن فاستحيت النساء من ذلك وقالت يا ويلكم من عبيد ما اقل ادبكم وما الذي نزل بكم حتى تفعلوا ذلك فقالوا يا ويلكن الم تعلمن ان هذا الغلام

[35]

الذي نزل بكن ودهمكن في ازواجكن واولادكن هو العذاب الواقع والسم النافع ابن عم الرسول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قد اتى إليكم بجيش وقد كمنوا في الشعاب وقد نزل إلى سيدكم المنتقم بجيشه وقد كمنوا في الشعاب وقد نزل إلى سيدكم المنتقم بجيشه وقد امرنا بحفظ الحصن وما فيه والحماية عنه فمن كان عندها سلاح فتاتنا به واجمعوا الجنادل والاحجار .

(قال الراوي): فلما سمع النساء ذلك بادرن إلى اماكنهن واتيبن بجميع الاسلحة ثم اقبل جنبل على أصحابه وقال يا قوم اني اخاف ان يضرب الشيوخ علينا الحيلة ويمكروا بنا فقال أصحابه وما الذي ترى الراي عندي ان تمضوا إليهم وتقتلوهم فلا حاجة لنا بهم .

(قال الراوي): فمضى العبيد وقتلوا الشيوخ عن آخرهم قال فلما رات النساء ذلك تصارخن فقال جنبل لأصحابه اوثقوهن كتافا واطرحوهن في بعض زوايا الحصن ففعلوا وطابت خواطرهم ووقفوا على أعلى السور واشهروا سيوفهم ونصبوا الاعلام وفرقهم جنبل في جوانب الحصن فهذا ما كان من أمر جنبل وقومه واما ما كان من خبر عدو الله المنتقم فانه قد سار بقومه حتى

اشرف على أمير المؤمنين الذي لم يكبر عليه عظم كثرتهم بل انه اظهر ميله إلى الحرب وكان على شاطئ النهر مما يلي حصنهم وديارهم فوثب قبل وصولهم إليه وثبة عبر بها إلى الجانب الآخر واقبل إلى الجسر وتامله فإذا هو من الخشب مركب على اعمدة فضرب بيده على ما يليه من الاخشاب فقلعها من موضعها وازالها من مكانها وكان عليه كثير من التراب فنهال جميع ذلك في النهر وذهب به الماء وانقطع الجسر وعاد وعاد الإمام مكانه وصار متكنا على جحفته غير مكترث ولم يزل الإمام جا لسا مكانه إذ اشرف عليه القوم وما زالوا سائرين إلى ان وصلوا إليه فنظروا إلى النهر راوه وقد قطعه الإمام وحده فعظم عليهم ذلك وتعجبوا منه وقالوا وحق زجرات المنيع ما يفعل هذا رجل واحد ثم انشد يقول يا أيها الرجل الجميل فعاله نعم المعارك قد فعلت صنيعا لك عندنا مال واحمال جزا اني لامرك في الأمور مطيعا .

(قال الراوي): فلما سمعه الإمام بادر بالغضب ووثب وثبة الاسد وتجرد من

[36]

اطماره ثم جرد سيفه واخذ جحفته وعدو الله باهت لا يدري ما هو عازم عليه ثم تقدم الإمام إلى شاطئ النهر بوثبة واحدة واجتمع وانفرد من الأرض قعد النهر بوثبه وهجم على عدو الله وقال له أنت عدوي وانا عدوك وأنت طلبي وانا طلبتك يا ويلك افق من رقدتك أنا العذاب الواقع أنا الاسد الزور والوحش الجسور وزوج البتول وابن عم الرسول ممزق الكتاب ومظهر العجائب ليث بني غالب علي ابن أبي طالب .

(قال الراوي): فمال إليه الفرسان من كل جانب ومكان ولما سمع المنتقم مقالته وعلم انه علي بن أبي طالب ارتعدت فرائصه وصرخ بصوت قوي وقال لقومه يا ويلكم ادركوني من قبل ان تفقدوني من بينكم فهذا الغلام الذي خرجت بكم إليه وقدمت بكم عليه هو علي بن أبي طالب فمالته الفرسان ووثب إليه الإمام وضربة ضربة بسيفه عرضا فارمى عدو بنفسه إلى الأرض ونادى يا ابن أبي طالب ليس العجلة من شأنك فرمى الإمام السيف عنه وقال يا عدو الله وعدو نفسك قل ما أنت قائله فعند ذلك حمل عليه القوم حملة واحدة قوية وهجموا بكثرتهم ودهموا بجمعهم ثم قام عدو الله وحمل على الإمام وقد قوي عليه قلبه وشد عزمه بانجاد قومه له وقال يا ابن أبي طالب هذا ما جنيته لنفسك وان لم ترد سائقنا اكراما منك إلى إلينا بل اردت الخديعة والدخول حصننا والذي املته بعيد يا ابن أبي طالب يا عدو المنيع وعدو الالهة الهضام فما بقي محمد ابن عمك ينظر إلى طلعتك فإن الحياة عادت حراما عليك بعد هذا اليوم فقال الإمام كذبت يا ملعون ولا ازول عنكم حتى اذيقكم كاس الموت والحمام وانا الاسد الضرغام والبطل المقدم ممزق الكتاب ومظهر العجائب ليث بني غالب علي بن أبي طالب فلما سمع المنتقم ذلك ثار من الغيظ وقال لقومه احملاوا عليه بكثرتكم وميلوا عليه بكليتكم ثم صرخ جديعة بن كثير وكان غلاما كثير الجسارة وفارسا مشهورا فحمل عليه الإمام ولم يمهل حتى ضربه عرضا فرمى راسه مع رقبته فلما نظر القوم ذلك حاروا ودهشوا من فعاله وهابوا ان يتقدموا إلى ورائهم وهم ينادون إلى أين يا ابن أبي طالب لنذيقك اليوم المعاطب وظنوا انهم قادرون على الإمام .

(قال الراوي): فصرخ

[37]

فيهم الإمام صرخة الغيظ المشهورة في القتال ثم حمل فيهم وصاح إلى يا اولاد اللنام وحق رب الكعبة لا ازول عنكم حتى ابدد شملكم ثم حمل عليهم الإمام ووضع درقته في صدر القوم وانشد يقول أنا الخطاب والجزار ادعي أمير المؤمنين فهل معاني أنا

قرم الهياج الهاشمي هدمت لخير بدء الزمان افيض على الارامل با لعطايا واکرم جبرتي في كل آن وهل نار الحروب سوى علي فدونكم تروني بالعيان .

(قال الراوي): فلما سمعوا ذلك نظر بعضهم إلى بعض والمنتقم مطرق لكلام الإمام كاطراق الحصان لصلصلة اللجام فعند ذلك اقبل عليه قومه قالوا له أيها السيد ما الذي تأمرنا به قال لهم تتبعوني قلوبكم مملوءة من الحزن والوجل شقيتم من قوم تتبعون الشعار وقد جلكم فما تم كلامه حتى برز إلى الإمام من القوم غلام رشيق وبيده عتيق وهو على مضر من الخيل العتاق فتقدم إلى المنتقم وقال أيها السيد وحق المنيع لا تيك براسه سريع فقال المنتقم ابرز إليه فلك كل المكارم فلما خرج الغلام من بين القوم قال الإمام ظهر لي شجاعته فاحببت ان يكون مثله الله ورسوله فنادته يا غلام ارى سيدك قدمك للمهالك فارجع فاني لك ناصح فلما سمع الغلام كلام الإمام تبسم ضاحكا وقال أنا ما نزعج من الامن نار المنيع فقال فعطف عليه الإمام وضربه عرضا على صدره فخرج السيف من ظهره فسقط أبو الهراش .

(قال الراوي): فلما نظر المنتقم ذلك مشى إلى الإمام له جسم كالبعير ونادى برفع صوته يا ابن أبي طالب ان البغي مسرعة الرجال وسهام الابطال ومن زها بنفسه وعجب بشجاعته اورده ذلك موارد العطب ومن سل سيفه ظلما قتل به رغما .

(قال الراوي): ثم ان الإمام حمل على عدو الله وحمل الآخر كذلك وتقارنا وتجاربا وشهد القوم منهم مشهدا عظيما ما روى الرواة مثله قال الإمام فوجدت عدو الله صبور على الضرب جسور على الطلب ثم ان الإمام جمع نفسه وقد كثر بينهم العراك والقلق وقد احمرت الحق فعلم الإمام من عدو الله التفصير وقد اشرف على الهلاك فنادى

[38]

ابن أبي طالب وقال للمنتقم ارفق قليلا ارفق قلبلا حتى اخاطبك بكلام فيه المصلحة فتأخر عنه الإمام وقد طمع في إسلامه وقال في نفسه والله اشتييت ان يكون مثل هذا الاسد الاروع في الإسلام ثم تأخر عنه وقال له قل ما تشاء فقال ابن أبي طالب أنا قد رحمك لحسن فعالك ورايت ان اعفوا عنك واطلق لك السبيل لاني علمت انك قد اشرفت على الهلاك فانا ابعث إليك بفرس ومطية وازودك الماء والزاد واهب لك من الأمور ما يكفيك وترجع ابن عمك سالما غانما وانا اشهد لك بين القبائل والعربان با لشجاعة والبراعة ثم حمل الإمام مع كلامه وقال يا ويلك اشرف لنفسك واهلك واولادك وجميع قومك ان يقولوا لا الله الا الله محمد رسول الله ثم حمل الإمام وطلب انجاز الوعد فنظر عدو الله الإمام وقد عزم على قتله وصمم بعد ان ارتعدت فرانصه وصار يرتعد كالسعة في الريح البارد فنادى وقال يا ابن أبي طالب الصدق اوفي سبيل فبالله ابقتي فإن لي في القوم مالا واهلا واولاد فإن ملت إليك يقطعها بيني وبين اهلي واولاد دي وجمع مالي فخلي سبيل حتى اخاطب قومي فإن أجابوا إلى ما أريد كان الراي الحسن وان خالفوني دبرت امري وخالفتهم وفارقتهم فقال له الإمام افعل ما بدالك وأنت بين الجنة والنار فامض إلى ايهما شئت وطمع الإمام في إسلامه فخلي سبيله فرجع المنتقم إلى قومه وقد تععضت اركانه وخدمت نيرانه فقالوا له أيها السيد الكريم ما فعلت بهذا الغلام فقال المنتقم وسطوة المنيع لقد نازلت الابطال فما رأيت غلاما اصبر من هذا على القتال فما رأى في امره وما تفعلون فقالوا نحن معك فالذي ترضاه لنفسك رضيناها لنا والذي يامرنا به فعلناه فقال يا قوم ان هذا الغلام يريد منا ان نرفض عبادة المنيع الاله الرقيق ونعبد الهه ونشهد لا بن عمه بالنبوة ونكون معيرة العرب في المحاصل قالوا وما نرى جوابنا الا اننا نمهله بقية يومنا هذا إلى ان يتسبل الظلام فنسير إلى حصننا ونتحصن فيه من داخله ونوفق اقفاله فلا يستطيع الوصول إلينا ونرسل رسولا إلى الملك الهضام فيأتيا بجنوده وعساكره واهله كل حصن يمدوننا بالنصر على عدونا فقالوا جميعا افلح الله رايتك أيها السيد هذا هو الراي السديد فاتفق رأيهم على ذلك ثم قالوا دبر هذا الأمر بعفلك انه

لا يصلح الا لمبارزة كسرى وقيصر .

(قال الراوي): فلما اختلط الظلام نظر الإمام إلى جهة القوم وإذا هو برجل خارج من جيش المنتقم مسرعا إلى جهة الحصن فظن انه رسول فلصق حذق وتامل فاذا هو باخر قد خرج من ورائه واخر في اثره وهم ينسلون واحدا بعد واحد هربا الحصن فلما رأى ذلك الإمام علم انهم عزموا على الهروب من الحصن فاخذ سيفه وجحفته وجعل يزحف على بطنه كالحية على وجه الأرض إلى ان وصل إلى جانب النهر وجمع نفسه ووثب فعندي النهر ولم يعد عليهم بل عدل عنهم اسرع إلى جهة الحصن يريد الوصول إليه قبل ان يصل إليه احد منهم فمزال الإمام يسرع في سيره فلم يكن الا اقل من ساعة حتى وصل إلى الحصن ولم يصل إليه احد قبله فنظر إلى اعلاه فرأى العبيد على أعلى السور وقد رفضوا الرقاد واداموا على السهر بكليتهم وقد جعلوا العذار في مرصاة الملك فلما نظر اسرع جماعة منهم وهموا ان يرموه بالاحجار فنادى الإمام لا ترموا باحجار وافتحوا إلى الباب شكر الله سعيكم وامنكم من عدوكم فعرف القوم صوته ففتحوا له الباب وفرحوا به فرحا شديدا وكانوا قد آسوا منه وقالوا يا سيدنا اقلنا با بطانك وكثر خوفنا عليك ونوبنا ان القتال إلى ان نقتل عن آخرنا في مرضاة ربنا فجزاهم الإمام خيرا ثم قالوا فما كان خبرك حتى ابطأت علينا فقال ما يكون الا الخير والسلامة وفي هذه الليلة ان شاء الله يظهر لكم تمام الكرامة ثم قال لهم الإمام اخرجوا با جمعكم خارج الباب ولا تمنعوا احدا من الدخول وانا ابلغكم منكم المأمول فقال جنبل بن ركيع يا سيدي وما الذي عزمت عليه قال ان اضرب ارقابهم فذهل القوم من كلام الإمام وخرجوا با جمعهم إلى خارج الحصن فلم تكن الا ساعة وإذا با لقوم مقبلين وفي اوانهم دويب بن ياسر الباهلي فقال له جنبل ما وراءك يا ذؤيب فقال لا تسألني عن الموت الفاصل ثم هم ودخل في الحصن والإمام يسمع كلامه ثم ضربه ضربة قسمه نصفين ثم سكت واخفى خسه فبينما هو كذلك إذ دخل اخر فقاربه الإمام وضربه ففلق راسه عن جسمه .

(قال الراوي): فبينما هو كذلك إذ دخل آخر فقاربه الإمام وضربه فزال راسه عن

جثته وإذا بضجة عظيمة فأتاهم وإذا هو بعد والله المنتقم راكبا على بعيره وحوله غلمانة وشجعانه وقد احاطوا به من كل جانب فلما وصلوا إلى باب الحصن اناخوا البعير ثم حملوا عدو الله وانزلوه فتقدم إلى باب الحصن يريد الدخول فوقف والتفت إلى أصحابه وقال لهم يا ويلكم الزموا با ب حصنكم إلى ان تتكامل أصحابكم وادخلوا الحصن واغلقوا بابيه وتحصنوا ثم ان عدو الله تركهم على الباب ودخل الحصن ومعه رجل من جماهير قومه فرفع جنبل صوته يسمع الإمام وقال يا مولاي يبيلك الاله مأمولك واعطاك سؤالك لقد ابردت بعقلك قلبي وسررت خاطري فعند ذلك فهم الإمام اشارة جنبل وكان للحصن بابان من داخل بعضهما فوقف الإمام رضي عنه عند الباب الثاني من اطماره حتى بقي في سرواله واخذ سيفه وجحفته ثم اقبل على عدو الله المنتقم وحواليه السيوف مسلولة وهو في وسط القوم كعلو الفارس على الراجل فلما وصل إلى الإمام وثب عليهم وصاح بصيحته المعروفة الهاشمية وقال إلى أين يالنام إلى أين المفر من ابن عم خير البشر فلما سمع القوم ذلك ولو اهار بين يميننا وشمالا وصار عدو الله وحده واقفا باهتا لا يدري مايصنع فنادى يا ابن أبي طالب احسن الي وابقى بكرمك علي فقال الإمام اتخدعني يا عدو الله والله ان لم تقر بالوحدانية ولمحمد ابن عمي با لرسالة الا قتلتك اشر قالمة فقال له ابن أبي طالب بحق ابن عمك محمد الا ابقيت علي فعند ذلك اخذ الإمام عمامته بعد ان القاه على الأرض وكبه على وجهه واوثق كتافه وجمع يديه إلى رجليه وتركه

لايستطيع ان يتحرك وعمد إلى القوم فقال لهم قولوا نشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقالوا باجمعهم نشهد ان لا اله الا الله وان بن عمك محمدا رسول الله فقال لهم الإمام رضي الله عنه ما يتحقق عندي إسلامكم فقالوا له يا ابن عم رسول الله هذا حقيقة إسلامنا قال نعم .

(قال الراوي): فعند ذلك جردوا سيوفهم وعمدوا مع الإمام إلى الباب الذين هم داخله ففتحوه فوجدوا القوم قد دخلوا كلهم من الباب الاول واجتمعوا عند ذلك الباب الذي من داخله أمير المؤمنين فخرجوا لهم وحطموا السيف فيهم واقبل جنبل وقومه من

[41]

خلفهم وصاحوا فيهم الله اكبر فتح ونصر هذا والإمام رضي الله عنه يقول امروهم ان يقولوا لا اله الا الله والا نفنيكم عن آخركم فمن قالها ارفعوا عنه السيف ومن ابى فاقتلوه فما زالوا كذلك إلى مضي ثلث الليل فنأدى القوم با جمعهم الامان يا ابن أبي طالب ونحن اسراك وفي يدك فقال لهم رضي الله عنه لن يؤمنكم من سيفي إلا أن تقروا لله بالوحدانية ولمحمد الرسالة والا افنيكم عن اخركم فصاحوا باجمعهم نحن نشهد ان لا اله الا الله وان ابن عمك رسول الله فأمر القوم ان يرفعوا عنهم السيف فما مضى نصف الليل الاول الا وقد كفاه الله القوم ولم يبق عندهم من يقاتل ابدا واقبلت الرعاة وجنبل إلى الإمام وقبلوا يديه وهنوه بالسلامة وبما فتح الله عليه في تلك الليلة فحمدوا الله تعالى واثنى عليه ثم خر ساجدا لله تعالى في وسط الحصن شكر الله تعالى .

(قال الراوي): فلما فرغ الإمام من سجوده ورفع راسه واستوى قائما أمر باحضار عدو الله المنتقم فاحضر بين يديه فأمر بحل كتافه وقال يا عدو الله وعدو نفسك انك على شفا جرف هار اما إلى النار واما إلى الجنة يا ويلك اقر لله بالوحدانية ولمحمد بالرسالة تفر في الدنيا والاخرة واصرف عنك المحال ودع عبادة الاصنام فقال المنتقم يا ابن أبي طالب اجعل لك حملا ارسله إليك والى ابن عمك في كل عام من جميع ما تختاره من الصنوف المثمنة من الجواهر والذهب الاحمر وما اشبه ذلك فقال له الإمام يا ويلك اما مالك وما قومك ومال ملكك ان شاء الله تعالى احمله كله إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد ان اقتلك واكسر صنمك وأنت والله ما يخلصك من سيفي الا قول لا اله الا الله محمد رسول الله فقال يا ابن أبي طالب اما هذه الكلمة لا اقولها ابدا وان عجلت قتلي فلي من ياخذ الثار وها هو المسمى بالخطاف هندي الحميري يقتص الوحوش في فلواتها والاسود في غاباتها فلما سمع الإمام ذلك من عدو الله فار بالغضب وقال الذي اوصلنا إليك يوصلنا إلى غيرك واما أنت فقد عجل الله بروحك إلى النار ثم قام الإمام علي على قدميه وضرب عدو الله المنتقم بذى الفقار فزال راسه .

(قال الراوي): ثم الإمام عليا رضي الله عنه أمر باحضار النساء فاحضرت بين يديه فعرض عليهن الإسلام فمن اسلمت اقرها في مكانها ومن ابت وكل

[42]

بها من يقتلها فلما فرغ الإمام من ذلك جمع الاموال وجمع ذلك كله في دار عدو الله المنتقم وقفل عليه وختمه واوصى بحفظه ثم اقبل الإمام على القوم وقال لهم ان الله سبحانه وتعالى قد دعاكم للإسلام ومن عليكم بالايامن وانقذكم من ظلمات الكفر والطغيان واني ماض عنكم فالله في انفسكم فلا تكفروا بعد ايمانكم ولا تنافقوا في إسلامكم امل الله الرجعة إليكم عن قريب ان شاء الله تعالى بعد بلوغ ما أريد من ملككم الزميم واصرف شره وشر صنمه وشيطانه الرجيم فقالوا جميعهم يا ابن عم الرسول أنا لن نؤمن الا بحقيقة امرنا وقد علم الله صدقنا وأراد لنا الحياة واطمأنت انفسنا ونسير معك وبين فما يكبر علينا ان نقاتل بين يديك ملكنا واهلنا فلما سمع الإمام منهم ذلك سر بمقاتلتهم وعزل لهم مائة رجل يمكثون في الحصن وامر عليهم جنبل بن خليل الباهلي

واوصاه بالشفقة على من في الحصن ووصاهم بحفظ ما فيه وامر على الرعاة جنبل بن ربيع فقال جنبل يا أمير المؤمنين بالذي بعث بن عمك با لحق بشيرا ونذيرا لا تأخرني عن المسير معك لحرب قومي وقتال عشيرتي يطول دهرنا وزماننا ولا اتركه حتى يشفي غليل قلبي وما قدمت من ذنبي قد جزأه الإمام خير على كلامه وقال له يا جنبل فإن الله كريم لا يعجل على من عصاه ثم ان الإمام دعا بعبد يقال له حصن بن شنبش وامره على الرعاة واوصاه بحفظ السانقة والاموال واوصاه يروحها كل ليلة إلى داخل الحصن ثم سار الإمام واخذ معه الثلاثمائة فارس طالبين حصن رامق ووادي الحديق وصاحبه الأمير عليه الخطاب بن هند الحميري الملقب بمروع الوحوش فساروا وقد اخفى الله امرهم وما جرى لهم فلم يعلم احد من أهل الحصون والاوديد واما الملك الهضام فقد اشتد كفره وطغيانه وتجبره وقد شاع في العرب ذكره وعظم خطره وكان يركب كل سنة ثلاث مرات إلى صنمه فإذا دخل عليه خرله ساجدا من دون الله عز وجل فلا يرفع راسه حتى يهتف الشيطان بصنمه ويأمره بالقيام .

(قال الراوي): فبينما عدو الله في تزايد كفره إذ ورد عليه كتاب رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم مع جميل بن كثير العابد فاستاذن في الدخول على الملك قيل له اصبر حتى نخبر الملك بقدمك ثم ان الحاجب

[43]

اخبر الوزير بقدم ذلك القاصد فاخبر الملك بذلك فقال أيها الملك انه اتاك اليوم قاصد يذكر انه من عند محمد صاحب يثرب وابن عمه علي بن أبي طالب واستاذن في الدخول عليك والوصول إليك فواقفه الحاجب واخبرني بخبره وها أنا اخبرتك .

(قال الراوي): فلما سمع الملك الهضام بذلك عظم عليه وقال او قد ذكرني محمد مع ذكر وعرض لي مثل ما عرض لغيري ايظن اني كغيري من العرب وان الهي كسانر الالهة ثم أمر ببساط مجلسه فبسط وستوره علقته وبعث اكابر قومه فاقامهم حوله بالسلاح والنشاب وبايديهم العمد والحرب ولبس الملك تاجه الملح باليواقيت والجواهر واظهر نعمته واقام ترجمانه بين يديه لأجل ما يبيع الكلام إلى القاصد ثم أمر باحضار قاصد رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم بين يديه فتبادرت غلماناه وحجابه إلى جميل من كثير فاتوا به اسرع من تكلم ثم دخلوا به إلى ان وقف بين يديه فلما نظر جميل إلى مملكته وسلطاناه وحجابه وغلماناه وتاجه الذي على راسه يواقيته والقوم محدقون به التجم عن الكلام وتبلد عن السلام فغضب الملك لذلك وعرف الغضب في وجهه فاضطرب القوم لذلك وماج بعضهم ورفعوا العمد والسيوف وتوقوا خطاب الملك لكي يبادرهم بسوء فنظر الترجمان إلى ذلك وكان صاحب عقل وادب وفضل فقال للملك اعلم أيها الملك ان هيبة المملكة ومرتبة السلطنة تلجم الناظر عن الكلام عن مقاتله في النظم حتى تدهشه عن السلام .

(قال الراوي): فذهب عن الملك ماكان قال به ثم قال الترجمان بجميل ان الملك يقول لك ويملك من أنت ومن أين اقبلت والى من قصدك ورسول من أنت قال جميل ابن كثير أنا رسول صاحب يثرب محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب وقد حملني هذا الكتاب وارسلته إليك لا طلب الجواب ولا طلب شرا ولا ضرا وقد فتقدم إليه جميل وناولته الكتاب ففكه وقراءه وفهم مضمونه ومعناه وفقهه حتى كاد ان يقع على قفاه .

(قال الراوي): ثم التفت الهضام إلى جميل قال ويملك

[44]

صف لي هذا الغلام المذكور في الأرض فقال جميل أيها الملك ان التكفر اقبح بالعبد الدنى فكيف بالسيد فإن احببت ان اصف لك فلي عليك شرطان احدهما ان وصفته لك فلا يكبر على الملك فيقتلني بغير ذنب وأنت اغنى الناس عن ذلك والثاني اخاف ان

اصفه لك شأنه العظيم فيباع غيره فاكون كذابا وانا الآن اسالك أيها الملك ان لا تسألني عن هذا السؤال فاني لا قدرة لي عليه فقال الملك ان قلت ما فيه على الحق فلا خوف عليك ان كنت صادقا فقال جميل أيها الملك انه غلام موصوف با لشجاعة معروف با لبراعة اخف من البرق إذا لمع واسرع من الفهد إذا وثب حسن اليقين .

(قال الراوي): فلما فرغ جميل من كلامه تبسم الهضام ضاحكا وقال وحق زاجرات المنيع لقد وصفت صاحبك واحسنت في وصفه فدع عنك هذا الكلام واقتصر على وصف هذا الغلام واعمل في خلاص نفسك قبل حلولك في رمسك وقل لا ي شيء اتبعت محمدا وامنت به فقال جميل على ان ينقذني من النار ويدخلني الجنة التي هي دار القرار فقال الهضام ومتى يكون هذا الأمر فقال جميل إذا قامت القيامة وقامت الخلائق من التراب إلى الاجتماع في دار الحساب فقال الهضام قد اخبركم صاحبكم محمد انكم تموتون وتصيرون رفاتا ويختلط اللحم هذا باللحم والعظم هذا بالعظم وتمضي عليكم الدهور والاعوام ثم تعودون باجساد و ارواح ثم يكون بعد ذلك حساب وعقاب وجنة ونار فقال لهم نعم قال له والى أين هذه النار وهذه الجنة قال شيء لا يفنى ولا ينقضي فعجل يا ويلك بالعاجل ودع الاجل .

(قال الراوي): ثم التفت للعين إلى بعض اولاده وكان اسمه ناقد وقال له قم يا بني اكشف له عن الجنة والنار وخيره بين الدارين فاختر المقام في دار النعيم فدعه ياكل من فواكهها وثمارها ثم اخذ ناقدنا جميل وذهب به إلى الجنة وقد رأى جميع ما فيها ثم قال ناقد اتبعني حتى اكشف لك عن دار هي احسن من هذه ثم اخرجه وعمد به إلى النار وقد كان ارسل إلى العبيد الموكلين بها الذين سموهم الزبانية فامرهم با ضرامها وتفويتها فلما ان قرب منها ناقد وجميل قربة واطلعه في درج عالي مبني من الرخام الملون حتى انتهى إلى أعلى الدرج فقال ناقد لجميل اتختر اي

[45]

الدار اردت فلما اشرف جميل على النار ونظر إلى قعرها وكثرة زفيرها وقال ابعدونني عنها وامضوا بي إلى الجنة فلما دخل فيها جميل وتوسطها واستنشق ريحها وتصايحت به حورها وافتتن جميل واحتوى الشيطان على قلبه فسلب الله تبارك وتعالى منه الايمان ومال إلى متلهم ورفض الإسلام .

(قال الراوي): فعدل من ورائها جميل لعنة الله عليه إلى تلك الآلات والنور والآتية من الذهب والفضة فقال للجارية لمن هذه قالت لك وانا لك وجميع هذا لك حتى يمضي من وقته وساعته إلى الاله المنيع فهو الهنا الأعظم فتخر له ساجدا وتقر له بالعبودية فقال لها حبا وكرامة أنا اسجد له مائة سجدة ثم خرج جميل وناقد ابن الملك معه لأنه كان يوصي الحور العين ان يخاطبه ويلقن له ذلك فلما خرج جميل قال ناقد إلى أين تريد قال إلى الاله المنيع والرب الرقيق اسجد له وافر له بالعبودية فقال له ناقد افلحت يا هذا ونجحت ثم اقبل ناقد راجعا إلى الصنم فما زال كذلك حتى قرب من الابواب وما زالوا كذلك حتى دخلوه فيها وهمت المتنعمون في الجنة ان يدخلوا معهم فمنعهم الحاجب من الدخول فتصايحوا بناقد وقد قالوا له دعنا ندخل إلى ربنا المنيع الهنا السميع فنظر إلى معجزات ودلائله وآياته .

(قال الراوي): فاذن لهم ناقد با لدخول وهو امامهم قابض على يد جميل لعنه الله فما زال يدخل من باب إلى باب ان إلى دخل البيت الذي فيه الصنم فنظر القناديل توقد باطيب الادهان ونظر الصنم معلقا في الهواء لا يرقعه عمود من تحته ولا علاقة من فوقه فحار جميل واندشش واعطاه ناقد خاتما من الحديد الصني كبيرا فاخذه جميل بيده وتقدم الصنم فلما شم الصنم رائحة المغناطيس جذبته بالقوة المركبة من الحديد فلما نظر جميل إلى ذلك حار فعلم ناقد ذلك منه فقال يا ويلك اسجد فإن الاله قد قربك

إليه فعند ذلك سجد جميل لعنه الله وسجد معه جميع القوم فاقبل الشيطان اللعين الموكل بالصنم فدخل جوفه وجعل يهذي بكلام التضليل .

(قال الراوي): فصاح به الخدم من كل جانب ومكان يقولون يا جميل ابشر بالخير الجزيل فقد جاد عليك المنيع بالكرم والفضيل وقد خرجت من ذنوبك كبير

[46]

الناس رؤسهم فلما فرغ تمسح القوم به تبركا وهنوه على ذلك وقبلوا يديه وكذلك ما قد ولم يزلوا من حوله محدقين إلى ان اوصلوه الجنة التي يزعمونها فلما دخلها استقبله صاحبتة الطاغية بكاس من خمر قالت له خذ هذا الكاس فهو تمام الفرح وزوال العمر ولم يبق بعد يومنا هذا ولا نصب فتناول الكاس من يدها وتجرعه وابعدته الله تعالى عن بابه وطرده عن نبيه ونام مع صاحبتة وكفر بالله العظيم ثم ان ناقدنا اتى إلى أبيه واخبره بذلك ففرح الهضام فرحا شديدا وقال وحق المنيع لو وصل إلينا علي بن أبي طالب لفعلنا به مثل هذا وكان نصير إلى ما صار إليه صاحبه وينسى ابن عمه وهل يرى هذا العميم والعيش السليم ويتباعد عنه وما زال الملك في كفره وطغيانه قال فلم يمض الا يومان أو ثلاثة بعد أمر جميل والقوم في لهوهم وسرورهم والسدنة من حول الصنم قد هجع القوم في بعض الليالي إذ صرخ الصنم صرخة عظيمة فازدحم على الابواب وقام الملك من على سريره واولاده حواليه فقال الملك لولده الاصغر وكان اسمه غنام انظر يا بني المنيع ولاشك انه وقع بنا أمر فانظر ما هذا الخبر فمضى غنام ورجع وهو طائش العقل فقال يا ابي انه صراخ المنيع ولاشك انه وقع أمر فركب الملك من وقته وركب اولاده من حواليه وسار بهم الملك حتى دخل الصنم بعد سكوته فلما دخل عليه الملك صاح واضطرب ونطق الشيطان من جوفه ينشد ويقول:

قد حل في ساحتكم بطل *** ورمى شجعانكم كلا بالخيل

هذا علي قريب قد وصل *** فادهموه بالسيوف والنبيل

ثم اقطعوا منه بعزمكم الامل *** فهو لكم وفي يديكم قد حصل

(قال الراوي): وكانت هتفة الصنم قبل ان يصل الإمام إلى حصن الوجيه حين قتل المغضب وخلص السانقة وردها وتعوق بعد ذاك حتى فتح الحصن فلما سمع الملك من صنمه هذا الكلام قال يا الهي ويسيدي لا وقفته بين يديك ذليلا ثم ان الملك التفت إلى ولده ناقد وكان اكبر اولاده فقال له يا ناقد اسجد لالهك فانك لعدوه قاصد وله قائد وعن قريب تأتي به حقيرا ذليلا فخر ناقد ساجد للصنم فسمع عنده ضاحكا واستبشار وفرحا وسرورا امن الصنم يا ناقد ارفع امرك واسرع با الاستعجال وجمع الابطال وتأتي به في القيد والا غلال منسكا في

[47]

أسوء حال فلما سمع ناقد قام مسرعا ووقف مع أبيه إلى منزله فقال الملك يا ابني انك وافر العقل تام الفضل وان الهك لا يحذر الا من أمر عظيم وهذا الغلام المذكور علي بن أبي طالب وانه قد شاعت بين العرب اخباره وقد ظهر انه فارس صنديد وقرم عنيد إلا أن الهك وعدك النصر عليه واخبرك انه وحيد فريد فامض إليه وخذ من تختاره من قومك وعشيرتك واوصيك إذا لقيته فحذره من ناري وشوقه إلى جنتي فإن ركن فجد العفو عليه وابسط جناح الاحسان وان ابى فاغتنم انفراده بانك آمن من ناصر ينصره ومعين يعينه ولا شك انك تجده حصننا الاقصى وهو حصن الوجيه نازع لامع الرعيان .

(قال الراوي): فعند ذلك قام ناقد على قدميه وجعل يخترق الصفوف ويتصفح وجوه الرجال وينتخب الابطال واحتار ان ياخذ من صناديد القوم الف فارس فلما لاح ضياء الفجر خرج ناقد وقومه قد تزينوا بزينتهم المدخرة عندهم ولبسوا فوق رؤسهم التيجان المرصعة بالياقوت والجواهر المثلثة وركبوا الخيول العربية وناقد بن الملك الهضام أكثر منهم زينة وله ذنائب تبلغ إلى مؤخرة سرجه وهو مقلد بسيفين عن يمينه وعن شماله وببده رمح خطي فلما تكامل أصحابه وعزموا على المسير ركب ابوه يشيعة ويوصيه ويحرصه على الإمام رضي الله عنه إلى ان يعدلوا عن الحصن فرجع الملك إلى حصنه وصار ناقد وهو يجد المسير فبينما هو سائر إذ لاحت غيرة عظيمة فتأملها وقال لقومه ما تكون هذه الغيرة العظيمة فقالوا لعل ان تكون غيرة رمال او طباء شاردة او زوايع عاقدة فقال لهم ناقد لو كانت كما تقولون لكانت منفرجة وهذه عقدة معتقدة فتأملوها جميعا فقال بعضهم وحق المنيع ان هو الا جيش وقال بعضهم غير ذلك فتحير القوم من ذلك ووقفوا جميعا فبينما القوم وقفوا متحيرين إذا انكشف الغبار ولاحت الاسنة ولمعائها وهي تبرق كالبرق وكواكبها زاهية فذهل القوم من ذلك ولم يعلموا انه جيش الإمام علي رضي الله عنه وكان الإمام قد نظر من بعيد فقال لقومه يا قوم لا ترون ما ارى فقالوا يا ابن عم رسول الله ما ترى قال ارى جيشا كبيرا فتأمل القوم فنظروا جيش ابن الملك فقال يا معشر المسلمين لا شك ان أصحاب الحصون

[48]

قد بلغهم خبرنا فهل منكم من يسرع إليهم فتقدم إليه جنبل بن ركيع وقال له يا مولاي اني لكلامك سامع ولامرك طائع امرني بما تشاء وتختار فاني وحق ابن عمك محمد لا اخالف لك أمر فجراه الإمام على ذلك خير وقال له أنت لها يا جنبل فاسرع إليهم فإن كانوا من اعدائنا فلا بأس ان تخذعهم بخديعتك لا تذكر لهم انكم ظفرتم بي وامسكتموني واسرعوني وانكم سائرون بي إلى الملك الهضام لتاخذوا منه الجزاء والاکرام ثم قال له الإمام بادر وفقك الله إلى مسيرك فمشى جنبل ابن ركيع إلى ان قرب من جيش ابن الملك الهضام فوجدهم قد جردوا السيوف وعزموا على القتال والحرب فنظر جنبل إليهم وإذا هو ناقد بن الملك وكان اعرف صاحب خديعة كثير المكر والحيل فلما عرفه وتحققه وعرف ناهد بن الملك ترحل جنبل عن جواده واقبل يسعى على قدميه فلما قرب من ناقد خر ساجدا لله تعالى فلما نظر إليه ناقد عرفه وظن انه ساجد إليه فقال يا جنبل ارفع راسك فقال يا مولاي عبدك وامتك فقال ناقد اركب جواده فركب جواده فقال له ناقد يا بن وكيع ما وراءك وما الذي بلغك من خبر هذا الغلام الكثير الانتقام علي بن أبي طالب فقال جنبل اسمع يا مولاي بينما نحن سرحنا وغنمنا على ما جرت عادتنا ونحن في الظل مجتمعون نرتع ونلعب إذ حضر إلينا غلام من أعلى الوادي وهو يهوي كالبرق يهرول في مشيه ويوسع في خطواته ثم اجتمع ووثب وثبة عدي النهر يشب كالارنب ويخطو كالاسد يقصر الليث عن وثبته في عظم خلقته وكبر جنته كبير الساعدين بعيد ما بين المنكبين فتحققناه وتقربنا منه وتصايح أهل الحصن ونزل إليه سيدنا المنتقم فانزله في ميدان الحرب فلم يزل به ومعه حتى عثرت برجله في حجر فوق على وجهه فترامت عليه الرجال والابطال فاخذوه باقتدار اسيرا وملكوه وصار في ايديهم حقيرا ذليلا ثم كتفناه وحملناه بعد ان جندل منا جماعة كثيرة من الرجال والشجعان والابطال فاجمعنا على قتله فمنعنا عن امره المنيع الاله الرفيع فلم نجعر ان نسير به الا في عدة من الابطال والرجال

[49]

الفوارس وهذا يا مولاي جملة امرنا وغاية خبرنا .

(قال الراوي): فلما سمع ناقد ذلك ما قاله جنبل تهلل وجهه فرحا وسرورا ثم قال وحق المنيع لقد فرحتم بهذا الغلام واستوجبتم فعلكم الاكرام وما خرجت من مكاني لهذا الغلام الكثير الانتقام فحصل لكم بلا ملام لكن يا جنبل ارعيني وصفك لهذا الغلام فعد إلى وامرهم ان يسرعوا إلينا ويقدموا بهذا الغلام علينا فعاد جنبل راجعا وقال يا ابا الحسن لقد اتيتك بطير سمين وهو ابن الملك في الف فارس قال فسار الإمام حتى وصل الإمام عسكرينا فقال ناقد وجبت لك البشارة يا جنبل فاين هذا الغلام المسمى بعلي فلم يتم كلامه حتى تقدم الإمام إلى ناقد واسفر عن لثامه وقال له ها أنا معدن المواهب أنا المشهور في المناقب أنا علي بن أبي طالب .

(قال الراوي): فلما سمع ناقد كلامه فمخ جواده بالسوط وصرح في قومه وقال يا قوم ان جنبلا خدعكم ولم ينجيكم من القوم الا القتال الشديد فاقربونا المواكب وصفوا الصفوف ففرت الرجال للحملة فقال الإمام لا صحابه احملوا بارك الله فيكم وعليكم وبقي ينظر لعلي ان يقع نظره على ناقد فيقبضه قال فحملت الرجال على الرجال واختلط الجمعان ووقفوا السيف بينهم قال فبينما الإمام ينظر ناقد فإذا هو قد وجده حسن الوجه صغير السن فلما نظره الإمام اشفق عليه ان يقتله وكان لا يرحم كافرا قط غيره فبينما الإمام وناقد حملا على بعضهما وإذا بصياح عال فإذا هو صاحب حسن الرامق ويسمى الخطاف وكان قد ارسل إليها أصحاب ناقد وقالوا له الحق بن الملك فانه مع علي يشد القتال فلما اشرف عدو الله الخطاف على ناقد قال يا مولاي ما يكون للملوك قتال ارجع ودعني مع هذا الغلام ثم تقدم الخطاف إلى الإمام وهو ينشد ويقول:

مالي أرى القوم في كرب وفي حرج *** قد مر بلواجمهم بالويل والكفر
وكلهم جزعوا من خوف سيف علي *** نسل الكرام المسمى من ذوي مصر
القوم قوم إله يعرفون به *** من الحديد ومن جزع ومن صفر
لا تركزنا تحت ذلته *** حتى اطوف به في البدو والحضر

[50]

(قال الراوي): ثم حمل عدو الله وجعل يخوض المعركة بسيفه وقاتل في ذلك اليوم قتالا شديدا فبينما هو يكر على المسلمين وإذا صوت الإمام رضي الله عنه وهو يقول أنا ابن ابرار من نسل هاشم المختار أنا ماحق الاشرار فلما سمع عدو الله صوت الإمام ومهارته في الحرب وهو يخطف الفارس من سرجه ويضرب به الثاني فيقتل الاثنين فهابه القوم ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل إلى وقت العصر فافترقوا وقد ملئت عرضا الوادي بالقتلى وتراجع الفريقان في اماكنهم ورجع الإمام إلى عسكره يترنم ويقول شعر حرمة الحرب بغيتي ومرادي وطريقي إلى فنا الاوغاد يا ابنة الطهر لو رأيت حروبي وشهودي وشدتي وجلادي وولوج الحسام في منهل النقع لا شفى من اللنام فؤادي .

(قال الراوي): فاستبشر به وفرحوا وهنوه با لسلامة فرجعت الطائفة الاخرى إلى موضعها خاسرة فلما اصبح الصباح تراجع الفريقان وقام الحرب والطعان ثم قال الإمام ان القوم أكثر منا عددا واقرب منا ديارا واني اخاف من نجدة تنجدهم فيكثر علينا الأمر ويكثر علينا الشرواني ارى من الراي اننا نبادرهم قبل ان يبادرونا وذلك اهيب لنا في قلوبهم وارهب في نفوسهم ثم قال لأصحابه قفوا مكانكم حتى اسير بين الصفيين واطلب البراز فعسى ان يخرج عدو الله الخطاف بلا تعب فقالوا يا سيدنا ان في القوم اسدان احدهما ناقد الملك الاخر الخطاف فاخذوهما وقد عرفتهما بالامس قال الإمام حسبنا الله ونعم الوكيل ثم خرج الإمام منفردا بنفسه واخذ رمحه وغير حنته فلما تمثل بين الصفيين قال الخطاف لناقد من هذا الذي تعرض للقتال وطلب البراز قال ناقد هلا تعرفه قال لا هذا علي ابن أبي طالب فقال الخطاف اني اراك يا ناقد كثير الوصف له لعلك كثير الارتعاد منه قال نعم فبينما هم كذلك إذ زحف الإمام عليهما حتى قاربهما ثم نادى هل من مبارز هل مناجز فلم يبرز إليه احد فحمل على الميمنة فقلبها على

الميسرة وقال ما شاء الله تعالى ورجع إلى مكانه ونادى هل من مبارز هل من رواح إلى قابض الأرواح فلم يجبه احد فحمل على الميسر فقلبها على

[51]

الميمنة وقال ما شاء الله ورجع صوب القلب ونادى أين من زعم انه كيف كريم فلم يتم كلامه حتى انقض عليه وهو على جواد اشقر وبيده رمع طويل حتى صار بين يدي الإمام ونادى يا غلام الرفق بالمرء يوصله إلى هنا فاكشف لنا عما تريد ففعل ان تكون الاجابة عندنا والانعام والان قد كشفت لنا عتابك ولعمري قد كنت متطاولا لرؤيتك فل ما انت طالب وما مرادك فاعجب الإمام من كلامه وقال له مرادي ان تقول لا اله الا الله محمد رسول الله فإذا قلت ذلك واقررت لله بالوحدانية فلك مالنا وعليك ما علينا واما صنمكم الذميم فسوف يظهر فيه العبر واكسره امامكم كسرة الحجر وترجعون إلى عبادة الرحمن فتكونوا شركاء لنا واخوانا في الإسلام فقال له ناقد يا ابن ابي طالب دونك إلى أم خاطر وموت باتر فقال له الإمام دونك والقتال قال فوقف ناقد يتكلم في نفسه ويقول وحق المنيع وزجراته لو تركناه حيا لغشنا في منزلنا وطرقنا في مرقدنا ولعمري اني اجد في كلامه حلوه ولمنطقه مراره اني ارجب واخشى ان يفعل ربي الأعظم ما يشاء فقال الإمام يا ناقد اطلق بلسانك بالوحدانية لله تعالى واشهد بالرسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم يمح عنك ما سبق قال ناقد ما أنا بالذي يفعل ذلك ويبقى له العار والشنار فلما سمع الإمام كلامه علم ان لا بد له من لقائه فتقاربا وعظم الجدل والفريقان ينظران فما زال حتى مضى النهار واقبل الليل فخاف الإمام ان يدركه الليل ولم ينل منه ما امله فحمل عليه الإمام وكان قد ظهر له من ناقد التقصير فطمع فيه وجعل يدبر عليه الحيلة من أين يأخذه فتصارخت الابطال وتزاعقت الشجعان وإذا با لمشركين يصرخون ويقتلون خرج الخطاف وانذهل العسكران والخطاف ينادي لا تعجل يا غلام علينا فنجعل ابق علينا نبق عليك فوثب الإمام على ناقد وقبض عليه فتعلق به وتعاركا طويلا فادركهم الخطاف وقد همد وسمعنا عدوات الإمام وزجراته ثم خمدت فلم يسمع لهما حس هذا والغبار متزايد وقد طال على الناس المطال ولم يبق احد من الفريقين الا وايس من الإمام رضي الله عنه فقال جنبل نحن فرضنا في الإمام إذا تركناه مع هذين الاثنين ولم نخرج إليه ولم نساعده

[52]

ولم ننجده بانفسنا واي عذر لنا عند الله فاجمعوا امركم واحملوا باجمعكم فعسى ان نخلص سيدنا واميرنا وانه قد وقع بين حجرين دامغين ولا خلاص له من بينهما إلا أن يشاء الله وقد رام كل فريق ان يحمل على صاحبه وقد زاد القلق واشتد الارق وازرت الحدق وإذا بصرخة عالية وذا بالإمام قد خرج من المعركة وهو يقول فتح ونصر وخذل من كفر هذا وناقد في يده كالحمام في مخالبا الباز ونظروا وإذا بفارس هارب من تحت العجاج فتأملوه فإذا هو الخطاف واما ناقد فصار مثل العصفور في يد الباشق فسلمه الإمام لا صاحبه وقال يا معشر الناس ان القوم قد خمدت جمرتهم فاحملوا عليهم بارك الله فيكم وعليكم فقالوا يا اميرنا الليل قد اقبل والنهار قد ادبر فقال لهم الإمام اضرموا النيران فانها ليلة كثيرة الاهوال والله اعلم بالمآل .

(قال الراوي): فعلوا ذلك واقبلوا على السهر والرصد وهم جلوس قابضون على اسلحتهم وتولى الإمام حرس المسلمين إلى ان اصبح الصباح واما المشركين فهربوا مع الخطاف إلى الحصن فقال عسكر ناقد يا خطاف تمضي إلى حصنك وتخلي ابن سيدنا في الاسر اما وحق المنيع فلا نسلمه لعلي إلا أن قتلن عن آخرنا ولا لاي شيء خرجت معنا وقد رميت سيدنا ورجعت وأنت سالم فقال الخطاف يا ويلكم لقد قاتلت ومانعت عن نفسي وسعيت في خلاصه فما استطعت ولو ان لعلي كفاء لما خلصت من يديه

فقالوا له امض إلى حصنك ونحن إذا أصبح الصباح سعيينا في خلاصه واما الإمام فانه لما طلع الفجر أذن وصلى بأصحابه صلاة الصبح ثم أقبل يحرص الناس على القتال ويقول معاشر الناس اعلموا انكم في غمرة ساهون وكنتم تعبدون الاوثان فا نقدكم الله واسعدكم بفعلكم وهذا عدوكم بازانكم ثم ان الإمام دعا بناقد وقال له يا ناقد لقد نفذ فيكم القضاء وقيدك رب السماء وأنت في امل فهل لك ان تبقي عليك قبل ان تسكن برمسك قال يا ابن أبي طالب اتنجي منك ناج بعد ان كان بيني وبينك من الوحشة والبغضاء والعداوة قال الإمام يا ناقد إذا كان قلبي مبغضا على كافر واسلم واقر بالوحدانية لله ولمحمد رسوله بالرسالة بدلت البغضاء با لمحبة وانقلبت الوحش بالمودة فإذا قررت بهما بطيب عيشك

[53]

وتفوز بخير الدنيا والاخرة قال يا ابن أبي طالب من يخلصني من المنيع قال له ان طول الله عمري لنتظرن صنمك المنيع بامر هائل شنيع وتراه في النار التي وصفتها ملقى حريقا فقال يا ابن أبي طالب لا شك فيك ولا فيما اظهرته وفعلته فقد وهبت نفسي لك في هذا اليوم ولا ابالي بما يلحقني من المنيع ولا من أبي وذوي حسبي وانا اقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله وقد افلح من آمن بربكم وخاب من كذبكم وها أنا اقاتل بين يديك في القوم لله ورسوله ولك ولا بغك الرضا .

(قال الراوي): فسر الإمام سرورا عظيما وقال له البس آلة حربك واركب جوادك حتى تخرج إلى قومك ثم أمر المسلمين بالركوب فركبوا خيولهم وفعلوا ما امرهم به الإمام فلما تقاربوا من المشركين قال الإمام لناقد يا ناقد ابرز بين الصفيين وادع قومك إلى الإسلام فلعل الله يهديهم كما هداك فخرج ناقد فخرج وهو راكب على جواده ولا بس آلة حربيه فلما نظروا إليه فرحوا فرحا شديدا ولم يبق احد منهم الا عرفه وقد ظنوا ان الإمام اطلقه فلما قرب ناداهم بأعلى صوته يا قومنا قد ظهر الحق وانكشف الغطاء وجاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا يا قوم عدوا عن الضلالات واعتذروا لرب البرايا يغفر لكم ما مضى وها هو آت يا معشر قومي وعشيرتي ليبلغ عني كبيركم وصغيركم اني قائل اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله لا حول عنها ولا ازل وما أنتم اشد مني باسا ولا اقوى مراسا وهذا باب قد فتح الله طريقه لكم ولا ح لكم بحقيقة فكونوا مثلي تفوزوا بالشهادة وتكونوا من أهل السعادة فما كان غير ساعه من الزمان حتى ظهر من القوم كردوس عظيم نحو الف فارس ولم يزلوا سائرين حتى وقفوا عنده وإذا هم من أصحابه الذين خرجوا معه من عند أبيه وهم يقولون يا سيده لنا اسوة بك والذي تختاره احنا نرضاه ونحن نشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذا تصديق ايماننا ثم عطفوا على قومهم أصحاب الخطاف ووضعوا فيهم السيف البتار وحملت المسلمون معهم والإمام في اوانلهم وناقد إلى جانبه فلم تكن الا ساعة حتى ولت المشركون ولم يزل السيف الطعن واقعا فيهم وكان الخطاف على ساقه

[54]

العسكر فقاتل قتالا عظيما فلما ولت أصحابه ولى طالبا للحصن فدخل الحصن هو وأصحابه ثم ان الإمام جمع الغنائم وكثرت المسلمون واشتدوا بناقد وعزمه وقوته وصار المسلمون نحو من الف وخمسمائة فارس وكلهم ابطال عوابس فتبعوا أصحاب الخطاف ولم يزلوا معهم إلى باب الحصن فدخلوا الحصن واغلقوا بابه ونزلت المسلمون عليه بقية يومهم وقد امتلات الحصون بذكر الإمام وقد قذف الله في قلوبهم الرعب .

(قال الراوي): ثم ان الخطاف لما دخل الحصن قال أصحابه يا سيده ما وراعيك وما الذي دهاك وبشره رماك فكان لا يقدر ان يرد جوابا من شدة الخوف فقال لهم اغلقوا الباب وحصنوا انفسكم ففعلوا ما امرهم به وهو جالس فلما سكن روعه سأله ما دهاك

قال يا قوم قد ذهب زمانكم فقالوا أيها السيد بين لنا ما وراء كلامك فقد اربعت قلوبنا من خطابك فقال يا قوم قد دهمتكم المحمديون وهم ليوث ابطال يقدمهم الليث المغوار الذي كانه صاعقة من السماء قد نزلت واخذت قلوب الرجال مفلق الهام وقد احتوى على ناقد بن الملك واتباعه وقد خطفه من سرجه فانظروا لا نفسكم فإن عليا لاحق بكم .

(قال الراوي): فلما سمع قومه ذلك ضجوا بالبكاء ضجا شديدا وتصارخوا بالويل والعيويل فبينما هم كذلك في صراخهم إذ ظهر ابليس اللعين في صورة شيخ كبير قد افناه الزمان منحني تكاد جبهته تصل إلى الأرض وعليه جبة صوف في شكل الرهبان وبيده عكاز ووسطه مشدود بخيط من صوف وفي رجليه نعلان من خوص النخل فلما نظره القوم تنافروا يمينا وشمالا يصرخ بهم ما تنازكم وانا رسول المنيع ارسلني إليكم حتى ارى ما بكم من الجزع وشدة القلق الفرع لاسكن قلوبكم وابرز لقتال عدوكم فازيل عنكم الشدة وابطل البكاء والحزن من الاعداء وإذا اشرف عليكم هذا الغلام اتولى أنا قتاله دونكم ولا أريد منكم بصيرا ولا معيا أو إذا رأيتموني قد وصلت إليه واحتوية عليه وقد ظهر المنيع بجنوده ونيرانه ودخانه فمن اراد ان يسبق إلى خيل القوم وسلاحهم فليبادر إلى ما شاء فلما سمع القوم سجدوا للصنم ثم رفعوا وزاد فرحهم قال مروع الوحوش أيها الشيخ اني لا ظنك من جند المنيع

[55]

الهنا فقال له ابليس اجل وانا رسول بينه وبين عباده لا ني اسبق الناس إلى عبادته وخدمته فجازاني بهذه الكرامة فكونوا في امامكم حتى تروا ما يسركم من قتل عدوكم فقالوا أيها الرسول أنا لنراك اضناك الكبر وانا لا نوقن ان لا طاقة لك على الحرب والنزال وشدة القتال فقال لهم ابليس لعنه الله كيف تشكون في المنيع وتقولون انه لا يقدر على شيء فقالوا أنا لا نشك في ذلك ابدا ونعرف ان المنيع له عزم عظيم ولكن نريد ان نرى شيئا من برهاتك لنكون على علم وتطمئن به قلوبنا فلما سمع منهم ذلك قال لهم ان المنيع لو اراد هلاك هذا الغلام قبل وصوله إليكم لفعل ذلك ولكن يريد ان يستدرجه إلى ان يوقعه في ايديكم حتى يذيقه العذاب والهوان وتشرح صدور الرجال وتنالوا عنده المرتبة العليا والفخر الزائد العميم وبعد ذلك يهلكه فانه ذو عزم شديد وانا اريكم بيان ذلك وبرهان المنيع الاله الرفيع وشدة قدرته ثم بسط يديه واوما بها إلى الحصن فخيّل لهم انه قد رفع الحصن فوق اصبعه وشاله ثم عاد فوضع بين يديه فراى القوم الحصن كما كان في مكانه فخر سجدا للجميع فقال لهم ابليس يا قوم ارفعوا رؤوسكم ثم غاب عن اعينهم فلم يروه (فقال الراوي) فعند ذلك قال لهم مروع الوحوش ابشروا يا قوم فقد جاءكم الفرغ فلما سمع القوم ذلك لبسوا سلاحهم وآلة حربهم وتفرقوا في جوانب الحصن وضربوا على سورهم سرداقا من جلود الفيل ونصبوا الرايات والاعلام وعزموا على الحرب والقتال وقد اصلحوا شانهم فبينما هم كذلك إذ اشرف عليه الإمام رضي الله عنه وأصحابه معه على مهل وعليهم الهيبة والوقار فانحدر الإمام إلى الوادي واشرف على حصن رامق وقد اظهرت الحدائق والشمس قد اصفرت لغروبها ثم نزل وامر أصحابه با لنزول فنزلوا من حول الحصن وانسدل الظلام واضرموا النيران وتحارس الفريقان والإمام رضي الله عنه متولى حرس قومه بنفسه يحوم عليهم كحومه الليث على اشباله .

(قال الراوي): فقال عدو الله الخطاف مروع الوحوش لا صحابه اني لم ار رسول المنيع صنع في ابن أبي طالب شيئا وها هو نازل با يذاننا بالسلامة

[56]

فقال له قومه لا تستبطل قول رسول المنيع فقال لهم احفظوا حصنكم وانزلوا من داخله لنلا ينقبوه عليكم ويدهموكم فابتدروا جماعة من القوم إلى ذلك وعدو الله الخطاف يدور على سور الحصن لينظر ما وعده به رسول المنيع وهو قلقان شاخص إلى جهة الإمام رضي الله تعالى عنه لا يعلم بغير ذلك بينما الإمام مع أصحابه إذ لاح لهم برق نار واضرام شرار وقد بان من ناحية الشرق ولاح البرق فحقق إليه الإمام وقال لمعت نار مراد نراه يتعرض لي ولا صحابي .

(قال الراوي): ثم ان الإمام رضي الله تعالى عنه ايقظ أصحابه وامرهم بالجلوس ورفض الإمام فنظروا إلى تلك النار وهي قاصدة وشرارها متوقدة فقال جنبل بن ركيع يا أمير المؤمنين ما هذا النار فقال الإمام يا قوم سكنوا روعكم وطمنوا قلوبكم فانها نار الشيطان ولا سبيل له على أهل القرآن وجنود الرحمن فبينما الإمام يخاطب قومه إذ تزايد لهيبها فما نظر الإمام إلى ذلك اخذ رمحه وخط به خطا حول أصحابه وناداهم اجتمعوا ولا تتفرقوا واذكروا ربكم واصبروا ثم جعل الإمام رضي الله عنه يقرأ القرآن ويتلوا آيات الله العظام واسمائه الكرام عند الرسم الذي خطه برمحه وهو دائرية حول أصحابه ولم يبق احد من خارج الرسم غيره ثم قال معشر الناس اني ضربت عليكم حصنا حصينا فلا يخرج منكم احد ومن خرج لا يلومن الا نفسه واتركوني أنا لهم والله المعين والناصر عليهم انه على كل شيء قدير فقال ناقد يا ابا الحسن فالتفت الإمام رضي الله عنه مبتسما غير مكترث بما ظهر وقال يا ناقد أنت اقدمك لمبارزة الرجال والابطال فليس عيك طاقد على قتال الجان فقال ناقد لا والله يا ابا الحسن لا انزع الله ما اعطاك واتم عليك ما اولاك .

(قال الراوي): فبينما الإمام يخاطب ناقد إذ وصلت النيران إليه ثم اشتدت ودارت حوله أصحابه وصارت كالسرداق المنسوب عليهم وهي دائرة بهم من كل مكان وتزاعفت الجن با على اصواتهم وصار لهم نباح كنباح الكلاب ففرع كل من كان مع الإمام وخافوا وايقنوا بالهلاك وينسوا من انفسهم ومال الإمام رضي الله عنه إليها بعضهم والتصقوا وامسكوا عن

[57]

الكلام هذا والنيران قد خمدت باذن الله تعال فبينما هم كذلك وسمع مروع الوحوش الخطاف اصوات وضجات وهو من داخل الحصن حتى نظر إلى النيران وهي محاملة بالإمام وقومه فنادى الخطاف قومه وقال لهم كيف رأيتم بصر الاله المنيع لقد خاب عن عاده وخالف امره ورضاه فدونكم الغنيمة الشاملة والمسرة الكاملة ان تدركو ابن أبي طالب قبل ان تلهيه فتاتوا به ذليلا حقيرا إلى الملك الهضام والاله المنيع فيحكم فيه بما يشاء ويختار وتكون لكم الخلع والاكرام والمراتب العظام ثم اسركم لهذا الغلام .

(قال الراوي): فقال له الرجل يسمى جندب بن عميرة الحميري وكان رجلا مكينا شجاعا رزينا له بصيرة وعقل وراي سديد يامرور الوحوش الزم مكانك فهو اصلح لك وقابل ابن أبي طالب وأنت في حصنك فهو ايسر لك واعلم ان هذا ناره أعظم من هذه النار وسيف محمد يطفئ هذه النيران وانا اعرف ما لا يعرفه غيري أنا محترق النيران فلما سمع الخطاف ذلك الكلام نهره وزجره وقال له اسكت لا أم لك لقد صرت شيئا كبيرا ولا عقل لك ولا سكن معك سرى الخوف من ابن أبي طالب حتى صار ممتلنا به قلبك وظهري من بين عينيك يا ويلك ايغلب ابن أبي طالب الهنا المنيع وجنده ويكذب رسوله فيما قال لنا ويعدنا بالمحال واني لاعلم ان ياتيهم الصباح الاوهم رمادا ويحك اما رأيت رسول المنيع كيف رفع الحصن على يديه حتى كدنا ان نخر على وجوهنا لولا تضرعنا إليه ولو اراد ان يقلب عليهم هذا الجبل لقلبه عليهم ولو اراد ان يخسف بهم الأرض لخسفها بهم قال له جندب اما أنا فقد نصحتك وحذرتك وما قلت اليوم مالك امرنا واما أنا فلا افارق مكاني ملازما لموضعي إلى ان انظر ما يكون فقال له مروع الوحوش الخطاف كن مع النساء وعليك با لحرس ثم تركه نزل مغضبا وقال لقومه دونكم واعداكم فاتحدر مع القوم

مسرعين فلما خرجوا من الحصن أمر جنذب بغلق الباب خلفهم وابتأقه با لاقفال وقال لمن بقي معه في الحصن انظروا لا انفسكم واحفظوا حصنكم

[58]

فما اظن عدتم تنظرون قومكم بعد هذا اليوم ابدا فهذا ماكان من عدو الله الخطاب وقومه واما ماكان من أمر الإمام رضي الله عنه فانه لما احتاطت به النار من كل جانب ومكان نادى برفيع صوته يا معشر الجان باي شيء تتعرضون وعلى توهجون وانا عذابكم النازل وسهمكم مقاتل أنا أبو الزلازل أنا ابن عم الرسول الفاضل أنا البحر الساكب أنا المذكور عند المطالع والمواهب أنا ليث بني غالب أنا أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب.

(قال الراوي): فاحترقت تلك النيران واهلك اشخاصهم وقتل مردتهم فولوا ناكسين ووصلوا إلى الرسم الذي رسمه أمير المؤمنين فلما وصلوا إليه تراجعوا عن أصحاب الإمام ولم يستطيعوا إليه وصولا وصار الرسم حصنا بين الجان وبين أصحاب الإمام ولم يصبروا على ما طرقهم فخرج منهم ناس هاربين والى الإمام طالبين فمالوا عن الرسم حتى كادوا ان يهلكوا ويحترقوا وكانوا سبعة انفار ومنهم جنبل ابن ركيع وناقذ بن الملك من اتباع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما دارت بهم النار وقبائل الجان نادوا برفيع اصواتهم يا سيدها يا علياه يا محمداه يا رباه فلما سمع الإمام اصواتهم اسرع الإمام إليهم وهجم عليهم فتسافر الجن عنهم يمينا وشمالا عند وصول الإمام فخلص الإمام قومه وقال لهم ما حملكم على ذلك ولم خالفتم امري فقال جنبل يا سيدي ضعف اليقين وصوله الجان فما هذا وقت ملام وكن مخلصا لنا ولنفسك من هذه الالهوال فتبسم ضاحكا من قوله وهو غير مكترث .

(قال الراوي): فبينما الإمام كذلك إذ سمع صوت مروع الوحوش وهم ينادون إلى أين يا ابن أبي طالب من عذاب المنيع الواصب لقد غرك الذي ارسلك إلى المنيع أنا مروع الوحوش الخطاب ثم تقدم إلى الإمام وهو يظن انه ظافر به فقال على دونك فافعل بي ما اردت فظن عدو الله ان أمير المؤمنين قد اسلم نفسه فقصد نحو الإمام وهو يقول إذ خلد القوم بذل اسرهم هذا علي قد اتى بشره وقومنا قد فزعوا من سحره لا ذيقه عذاب اسره .

(قال الراوي): فلما سمع قوم الإمام قول الخطاب زاد اضطرابهم وكثر قلقهم

[59]

ثم صاح بعلو صوته لا يتداركني احد ولا يشاركني في ابن أبي طالب فسمع الإمام وقومه ذلك من الخطاب وكان جهوري الصوت فلما سمع الإمام وأصحابه ذلك ارتخفت قلوبهم وتقدم مروع الوحوش إلى الإمام وهو يظن انه في قبضته فنظر إليه وهو كانه سابقة ربح عظيم فلما نظر مروع الوحوش إلى الإمام وهو على هذه الحالة اندهش وارتعش وندم على خروجه من حصنه ثم انه انقى سلاحه من يده وقال يا ابن أبي طالب ابق على اسيرك وحسن الي بكرمك فتقدم الإمام إلى مروع الوحوش واوثقه كتفا بعمامته واخذه اسيرا فما اخذ مروع الوحوش ولى أصحابه هاربين والى حصنهم طالبين وهم لا يصدقون بالنجاة يسلم الإمام مروع الوحوش إلى جنبل وناقذ ثم سار الإمام نحو النيران وهو يقول يا شرحبيل اسكنوا البراري وستوطنوا خلاء القفار لنلا ترموا بالدمار من عند رب قادر قهار أنا علي لمرضى الكرار وابن عم الصطفى المختار أنا علي ولي الجبار مبيدكم بالحد والشفار ومحللكم بالويل والدمار فما اتم كلامه حتى ولى الجن هاربين ووصل الإمام إلى أصحابه فاستبشروا بقدمه فاقبلوا يسالونه عن حاله وما كان ليلته وهو يحدثهم فبينما هم في الحديث إذ سمع صراخ جنبل وناقذ وهم ينادون يا ابا الحسن ادركنا

قبل ان تتركنا فلما وصل الإمام إلى ناقد وجنبل وجدهما يبكيان فقال لهما الإمام ما هذا البكاء وقت الفرج فقال ناقد يا سيدي لما عمنا الاهوال واشتغلنا عن مروع الوحوش بانفسنا فحل الخطاف وثاقه وفر هاربا إلى حال سبيله فلما سمع الإمام ذلك صعب عليه وكبر لديه ثم قال لا بأس عليكم طيبوا خواطركم فهو الذي بعث ابن عمي بالحق بشيرا ونذيرا لاورينكم فيه ما يسركم وانا اعلم ان لا ملجا لعدو الله غير حصنه فيا قوم الله سبحانه وتعالى قد كشف عنكم ما كنتم فانهضوا إلى أصحابكم واخوانكم ولا تزولوا عن اماكنكم إلى الصباح فاني متبع اثر القول وصاحبكم الخطاف فإن صبح الصباح ولم آت لكم فاقصدوا أنتم إلى الحصن فتجدوني فيه فسار الإمام إلى ان وصل إلى الحصن فرأى القوم على أعلى الحصن وقد قدوا نيرانهم فرأهم الإمام في ضوء النار وهم لا يرونه وقد وصل القوم المنهزمون إلى الحصن



وهم تحت الذلة فبينما هم كذلك تقدم الإمام رضي الله تعالى عنه إلى قريب من الباب والمنهزمون ينادوا لجندب بن عميرة الباهلي ويقولون افتح لنا الباب فلما فتح تقدم الإمام واختلط بالقوم وصار من جملتهم ودخل القوم يكرشون بعضهم بعضا وهو لا يصدقون بنجاة انفسهم فدخل وجلس وهو قابض على سيفه فلما تكامل القوم في الحصن اغلقوا بابه ووقفوا في ازقة فاقبل عليهم الذين في الحصن وقالوا يا ويلكم ما الذي نزل بكم فاخبروهم بالذي جرى لهم مع الإمام فلما سمع القوم ذلك ذهبوا فراحهم وقال بعضهم لبعض ان انسانا وحده يغلب المنيع وجيشه فقال جندب بن عميره يا ويلكم اما سمعوني وانا انصح صاحبنا مروع الوحوش فاني النصح فيا قوم وحق المنيع ان كانت يد ابن أبي طالب علفت بصاحبنا الخطاف فهو مخلص روحه من جسده فقال جندب يا قوم إذا اتاكم إلى الحصن فاسألوه أنتم في الحصن الامان فانه يأمنكم لا يخونكم وهو كريم .

(قال الراوي): فوثب الإمام قائما في وسطهم وزعق بهم وقال ها أنا قد جنتكم ووصلت إليكم ها أنا ممزق الكتاب ها أنا ليث بني غالب ها أنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فلما سمع القوم ذلك من الإمام انقطعوا عن الكلام فقال له جندب الحميري يا ابن أبي طالب أنت من السماء نزلت أم من الأرض خرجت أم من الباب دخلت فقال لهم من الباب دخلت فلا يخلو امركم من كلمتين اما ان تقولوا نشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واما ان تقولوا لا وتموتون جميعا .

(قال الراوي): فلما سمع القوم مقالته نظر بعضهم إلى بعض فقال جندب يا ابن أبي طالب اني قد اشرت بذلك على قومي فابوا اما أنا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله آمنت بالله وبرسوله ثم التفت إلى قومه وقال يا قوم ما يقعدكم عن رشدكم فنادى القوم عن لسان واحد قائلين لا اله الا الله محمدا رسول الله فلما سمع الإمام رضي الله تعالى عنه منهم شكرهم وجازاهم خيرا وفرح باسلامهم فرحا شديدا ثم قال لهم يا قوم لا يتم إسلامكم ولا يكمل ايمانكم حتى تقاتلوا اباكم واخوانكم وعشيرتكم فإن قتالهم فرضا عليكم فقالوا با جمعهم يا ابن عم رسول الله أنا نقاتل معك وبين يديك حتى نرضاك ونرضي الله ورسوله

فجزاهم الإمام على ذلك خيرا وقال الحمد لله الذي جعلكم من أهل الايمان وحقن دمانكم ثم التفت الإمام إلى القوم وقال لهم يا قوم ان عدو الله الخطاف قد اخفى امره فهل عندكم منه خبر فقالوا لا والله يا أمير المؤمنين لم يكن في الحصن غير الرغداء بنت الخطاف وهي بمنزلها ونحن نخشى سطوتها الا انها اشد من ابيها وهي من الجبابرة ونسل العمالقة من بنات حمير وقد اعتدت ركوب الخيل وخصوص الفرسان في الليل ولقاء الرجال وقتال الابطال على جسورة على القتال يحذر مكانها الفرسان فعند ذلك تبسم الإمام ضاحكا وقال اني لا افزع من تهابه الابطال فكيف بذات الحجاب امضوا إليها واتوني بها لامضي امري معها فقالوا أيها الأمير ما للنساء الا النساء فقال الإمام بل يمضي إليها جميع النساء وهم يقولون باجمعهم لا اله الا الله محمد رسول الله فإذا سألتهن عن ذلك يخبر بخبري وما جرى لهم معي فطلعت النساء من وقتهم وساعتهم إلى دار الخطاف وهن يقتلن لا اله الا الله محمد رسول الله فاشرفت عليهن الرغداء من منظرتها وليس عندها اخبر باسلامهن فقالت لهن يا ويلكن ما هذا الكلام الذي لم اسمعه ابدا منذ ملكت عقلي ثم نزلت لهن فقلن لها يارغداء ان كنت نانمة فاستيقظي فإن الحصن قد ملك قالت ومن ملكه فقالوا لها علي بن أبي طالب فقالت واين ابن أبي طالب فقلن لها هو في الحصن فقالت واين الخطاف فقلن اسره وانفلت من بعد الاسر فلا ندري أين سار وقد اسلم كل من في الحصن وهو يدعوك إليه لتدخلي في دينه فلما سمعت الرغداء منهم ذلك فارت بالغضب ثم كتمت غيظها سرا وقالت أين يكون الغلام الذي ذكرتموه فقلن لها ها هو في اقصى الحصن يبيع الرجال فقالت لهن على رسلكن حتى اسير معكن ثم دخلت منزلها واخذت خنجرها فشدته في وسطها من تحت ثوبها واضمرت الشر لامير المؤمنين

وقالت في نفسها ان وصلت إليه لم ابق عليه واقبل النساء على أمير المؤمنين وهي معهن وقد تأخرت عن النساء لتنتظر كيف يبايعهن ويكون ذلك امكن لها من الإمام ثم ان علي لما هم ان ياخذ البيعة على الرجال والنساء فإذا هو بباب الحصن يطرق طرقا خفيفا فقال الإمام انظروا من الطارق وشرف بعضهم من

[62]

أعلى الحصن ونظر من يكون من خارج فإذا هو الخطاف وهو يقول افتحوا ياويكم قبل ان يدنو من صاحبكم لذهاب فقالوا من أنت قال أنا الخطاف .

(قال الراوي): فاقبل القوم على الإمام واخبروه بقدوم صاحبهم فقال افتحوا له الباب وادخلوه ولا تمدوا إليه يدا بسوء ولا تكشفوا له عن مكاني ولا تخبروه بشأني فبادروا إليه مسرعين وفتحوا له الباب فوجده على آخر رمق من تعسسه في الظلام بين الدكادك والاجام فلما نظروه قالوا ما الذي دهاك أيها السيد وما نزل بك فلم يجبهم ولم يرد عليهم جوابا ولم يبد لهم خطابا دون ان دخل مسرعا وقال يا ويلكم اغلقوا الباب واوتقوه بالسلاسل والاقفال فقالوا أيها السيد واين تركت ابن أبي طالب قال تركته وقد شغله عني وعنكم جند المنيع فازدادوا عجباً ثم قال يا قوم لا تستكثروا على مهلا حتى ادخل ويرد علي عقلي فدخل الحصن فانتظر القوم ما يكون منه مع الإمام ثم التفت بعض القوم إلى الرغداء بنت الخطاف وقالوا لها يارغداء ان اباك يكاد يبدو منه شر إلى علي بن أبي طالب فيكون وباله عليك واعلمي يارغداء ان هذا الرجل لا يطلق من المزاق ولقد سمعت ما صنع بابيك منا فقالت الرغداء وما عسى ان اصنع في هذا الاله المنيع وجنده عجزوا عنه وعجز عنه الابطال من الرجال والنساء عجزوا عجزا .

(قال الراوي): ثم تركتهم وتقدمت إلى قرب الإمام وهي قابضة على خنجره واسبلت عليه ثيابها واضمرت انها تحول بين الإمام وبين ابيها وان لا تدع الإمام ان يصل إلى ابيها وهي واقفة ترتعد من شدة الغيظ فبينما هي كذلك إذ اقبل ابوها والقوم في اثره حتى اتوا به المكان الذي فيه الإمام والمصابيح تزهو حوله وهو يحدثهم بحديث الإمام وخرائبه إذ نظر فرأى الإمام جاثما كجثوم الاسد الضرغام فحقق الخطاف نظره فرأى الإمام فعرفه فجعل كلما ينظر إليه يراه ويمسح عينيه ويعيد النظر إليه فتحققه فلما عرفه توقف عن المسير ووقعت الدهشة به وعاد كالسعة ثم التفت إلى القوم وقال من هذا الرجل الذي هو جالس فقالوا له أيها السيد من معارفك وهو مشتاق إلى لقائك فعند

[63]

ذلك وثب إليه علي من مكان وثبة الاسد إذا عاين فريسته وقال له أنا من لا تنكرني إذا عرفت باسمي أنا غريمك ومطلبك واني مشتاق إلى لقائك أنا ممزق الكتائب أنا ليث بني غالب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .

(قال الراوي): فلما سمع الخطاف كلام علي خرس لسانه وبطلت حركته فهم علي بسيفه وقال له ما ينجيك من سيفي هذا الا قول لا اله الا الله محمد رسول الله فعند ذلك تقدمت ابنته إلى علي وارادت ان تمنعه عن ابيها فنظر إليها ابوها طمعا ان تحميه من الإمام لما يعلم من شدتها وشجاعتها وقوتها فنظر إليها علي وصرخ عليها صرخته المعروفة فارعشها وادهشها بصرخته فارتعشت واضطربت ومالت وكادت ان تسقط إلى الأرض فوق الخنجر من يدها فا ستغاثت بعلي وقالت اني اعوذ برضاك من سخطك يا ابا الحسن اني امرأة ضعيفة العقل واخذني ما ياخذ الاولاد على ولدهم من الشفقة واني سمعت ممن رأى إليكم يقول انكم شفعاء إلى رب السماء والارض والمنقذون لمن ينزل به الويل والبلاء مهلا فلا تعجل بالنقمة فسمع الإمام كلامها فتبسم

ضاحكا وزال عنه الغيظ وقال الأمر كذلك عفونا عنك فقالت الرغداء يا ابن عم رسول الله أنتم أهل الجود والكرم وحياتك ان حياتك عندي صارت قسما عظيما فامدد يدك فاني اشهد ان لا اله الا الله محمد رسول الله وأنت ولي الله وسيفه ونقمة على اعدائه فانسر لذلك واما الخطاف فانه حين اسلمت ابنته الرغداء وعابن ذلك منها التفت إليها وقال لها لا نجوت عن البنات ولا بلغت من المشرات فقال علي رضي الله عنه يا عدو الله وعدو نفسك انظر إلى نفسك وحل ابنتك وتوطأ في مجلسك فلست اعجل إليك وعليك ولا اترك لله حجة الا ووضحها لديك فالحق كلمتك بكلمتهم يكن لك الذي وعليك الذي علينا .

(قال الراوي): فالتفت الخطاف إلى قومه وقال لهم ما تكون كلمتهم فقالوا له اتينا قلنا جميعا رجالا ونساء كبارا وصغارا الا الله الله محمد رسول الله فقال الخطاف يا ابن أبي طالب اني أريد ان تريحني من النظر إليك فاني اكره ذلك فقال له الإمام ولم ذلك يا ملعون يا عدو الله وعدو نفسه قال لا ني لا اشهد لك ولا لابن عمك الا بالسحر والكهانة فعند ذلك غضب الإمام غضبا شديدا

[64]

وبادره بضربة فوقعت على أم راسه فعند ذلك اطمات الناس وامنوا فعند ذلك قال يا معشر المسلمين اني تركت أصحابي أريد ان امضي إليهم ابشرهم بما من الله به علينا من فتح هذا الحصن وقتل عدو الله الخطاف فعند ذلك قال القوم يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابعث من تختاره منا إليهم يؤمنهم ويبشرهم ثم ان علي دعا رجلا منهم يقال له جابر بن هقيم الباهلي ليبعته فقال لبيك يا أمير المؤمنين اني امضي في حاجتك وابادر إلى مرادك فشكره على وجزاه خيرا ودعا له ثم قال يا جابر خذ خاتمي معك وانطلق إلى أصحابي واقرنهم السلام وبشرهم بما من الله علينا من الفتح والنصر وامرهم بالمشير معك إلينا في مكاننا هذا ثم قال اسرع بما امرتك به بارك الله فيك فخرج جابر بن عقيم إلى أمر الإمام فلما وصل إليهم ناداهم جابر فقالوا من أنت فقال أنا جابر بن عقيم الباهلي ارسلني إليكم أمير المؤمنين فقالوا يا جابر أين تركت الإمام فقال لهم في الحصن والقوم حوله بعد ان ملكه وسلمت الرغداء الخطاف وجميع النساء فلما سمع أصحاب الإمام ذلك كبروا ثم ظهر لهم تكبير الفرح وفرحوا به فامرهم بالمشير فساروا إلى ان اقبلوا على الحصن فنزل إليهم جميع من با لحصن فاستقبله الإمام وسلم عليهم وعانق بعضهم بعضا وفرحوا باسلامه فلما اختلط الظلام دعا بجابر بن عقيم وامره على مائة رجل يامرهم بحفظ الغنائم وامر القوم كلهم بالمشير معه فقالوا سمعا وطاعة يا ابن عم رسول الله ثم اخذوا في اصلاح شأنه وجهزوا سلاحهم وتقلدوا سيوفهم واتوا الإمام فهم بالمشير ثم سار الإمام رضي الله عنه وأصحابه إلى صحن الصخرة وقد طلب له المشير فالتفت إلى القوم وقال يا معاشر الناس ان امرنا قد شاع في الحصون ولا بد ان تأتينا الجيوش فهل فيكم من ياخذ لنا خبر الطريق ويسال السالكين عن منتهى وحقيقة الاخبار فكان اول من تقدم إلى الإمام ناقد بن الملك فقال يا أمير المؤمنين أنا إلى ما ذكرت مسارع وتقدمت إليه الرغداء بنت الخطاف وقالت يا ابن عم رسول الله ان البلاد بلادنا ونحن اعرف الناس بها وشجاعتي تعرفها الشجعان وإذا اردت ان ترسلني مع من تريد فافعل ثم انتخب لها الإمام عشرة

[65]

وامر عليهم ناقد بن الملك فسار ناقد فلما وصل إلى الحصن وجد اهله قد تاهبوا وعزموا على القتال فرجع ناقد ومن معه فلما وصل إلى الإمام سأله عن الحال فقال ناقد يا أمير المؤمنين ان القوم في تحصنوا في حصنهم وعزموا على الحرب وتاهبوا للقتال فانظر يا سيدي ما أنت له صانع فقال الإمام إذا اراد الله سبحانه وتعالى بفتحته تهدمت اركانه قال ناقد يا أمير المؤمنين ان في الحصن رجلا شديد القوة كثير الاذى واحذر ان ياتيك من اذيته شيء فتبسم الإمام وقال يا ناقد سر ثم سار ناقد وأصحابه إلى

ان وصلوا إلى الحصن فلما نظر الإمام إلى مكنته وعلوه وارتفاعه قال اللهم سهل علينا فتحه ثم ان الإمام فرق عسكره كتائب ليكون هذا اهب في قلوب المشركين لاجهات كثيرة جيوشه فلما اراد ذلك ارتجفت قلوب القوم الذين هم داخل الحصن وقالوا لبعضهم ما أكثر هؤلاء القوم فبينما هم كذلك إذ يشرف أمير المؤمنين بجميع أصحابه فكبروا ونزلوا ولم يتعرضوا للقوم فما استقر الإمام في مكانه حتى اشرف عليهم من الحصن رجل كانه قطعة من جبل لهوله وعظمه فلما نظروا الإمام استعظم خلقته وقال تبارك الخلاق العظيم ثم اقبل الإمام إلى ناقد وقال له اتعرف هذا الرجل المهول فقال ناقد يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا صاحب الحصن وهو مصاهر لنا وهو زوج ابنة ابينا ومن خوف أبي منه دفع إليه ابنته بغير مهر معجل ولا مؤجل فبينما الإمام يسمع كلام ناقد إذ سمع صراخ عدو الله من أعلى الحصن وهو كانه الرعد القاصف والريح العاصف وهو يناديه يا معشر الجهال وعصابة الازدال ارحلوا بانفسكم غانمين وبارواحكم سالمين فلما سمع الإمام مقاتله غضب غضبا شديدا فوثب من مكانه وافرغ عليه لامة حربيه وقبض على سيفه وجحفته وقدم الرعاة الذين هم معه وهم نحو مأتي رام فانفذ لكل جهة من جهات الحصن واقرنهم بامثالهم من الرجال الذين هم بالدورق لكل رجل رام رجل يلقي بدرقته عنه ومال الإمام بمن معه إلى ناحية الباب وقدم الرماة امامه وقدم أصحابه إلى القتال فتحاربوا بالاحجار فرمى المشركون بالصخور الكبار ورمي الرماة بالنبال

[66]

فلما نظر الإمام ذلك عظم عليه فتقدم بنفسه إلى الباب وعدو الله يرمي بالاحجار والصخور وجعل الإمام كلما وصل إليه حجر تلقاه بدرقته وارخاه متباعدا عنه ومازال القتال بين الفريقين إلى وقت العصر فعطف الإمام بأصحابه وقال حسبكم من القتال فتراجعا الناس إلى اماكنهم وعدو الله وأصحابه يعطفون ويهزنون بهم فعظم ذلك على الإمام وبات الفريقان يتحارسان واضرمت النار وتولى الإمام حرس أصحابه بنفسه خوفا عليهم فبينما هم كذلك وإذا بشخص قد ظهر في الطريق فتأمله فنزل الإمام عن جواده واتى إلى صخرة وجلس مختفيا وراءها حتى وصل إليه ذلك الشخص وصار محاذيا له فوثب إليه الإمام وامسكه من رجله ورماه إلى الأرض فقال ذلك الشخص للإمام من أنت الذي اوهنت عظامي فقال الإمام أنا ليث بني غالب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فلما سمع الشخص باسم علي خرص لسانه فلم تكن الا ساعة والإمام واقف على راسه حتى ردت إليه روحه وفتح عينيه وقال يا ابن أبي طالب سألتك بحق ابن عمك ان تبقي علي وتحسن الي بكرمك فقد كنت اتقيك واحذرك قبل ان اراك فعند ذلك عفا عنه الإمام واثقه كتافا واخذه إلى عسكره فحل وثاقه وقال له يا هذا قل الصدق تنج واياك ان تقول غيره فتهلك فقال الشخص يا ابن أبي طالب اما قولني فصدق وهو الحق أنا اشهد ان لا اله الا الله وان ابن عمك رسول الله والآن فخذ حذرك فقد اتاك عسكر جرار وهم عشرة آلاف فارس من كل بطل مداعس يقدمهم بطل مقدم العشرة آلاف وهو غنام بن الملك الهضام انه لما وصلت إليه اخبارك وما فعلت في حصونه اراد ان ياتي إليك بنفسه فاقسم عليه ولده غنام بقوة المنيع انه ياتي ويقبض عليك ويوصلك إليه حقيرا ذليلا اسيرا فتبسم الإمام ضاحكا من قوله وقال له ما اسمك يا هذا قال اسمي القداح بن وائلة فقال له يا قداح أريد منك ان تمضي إليهم في هذا الليل وتجعل لي طريقا معك توصلني إليهم فقال القداح إذا وصلت إليهم يا مولاي ما الذي يكون فقال الإمام افتح الحصن واقتل عدو الله كنعان على يدك فقال القداح ان كنت فاستيقظ فإن الذي قتله بعيد .

(قال الراوي): فوثب إليه ناقد بن

[67]

الملك على القداح ونهره وقال له لا أم لك اعرف مكانك واعلم من تكلم فهذا الذي تكلمه فارس الفرسان هذا ليث بني غالب علي ابن أبي طالب فاقصر من كلامك والا رميت بهذا السيف فجزع مما سمع واخذته الرعشة والدهشة من كلام ناقد وغيره فقال الإمام يا قداح قد وجب عليك الجهاد في سبيل الله فإن اردت ان يحموا الله ما سلف من ذنبك فهب لي نفسك لله ومرضاته في هذه الليلة فقال القداح اني اخاف من القتل وورائي اطفال وليس لهم قريب ولا حبيب ولا أم عجوز كبيرة فإذا قتلت فمن يكون لهم بعدي فقال له الإمام لهم الذي خلقهم ورزقهم عليه وانا اضمن لك من الله السلامة فانه على ما يشاء قدير ثم اخذ الإمام مطيته من أصحابه واقبل عليهم وقال ارتحلوا راجعين على اعقابكم فإذا سمعتم التكبير فاطلقوا عنه الخيل واتوني مسرعين فارتحل القوم من وقتهم وساعتهم فقام الإمام وركب مطيته وقال القداح اركب مطيتك فركب القداح وسار والإمام معه إلى ان وصل إلى باب الحصن واحس بهم أهل الحصن فنادى كنعان من الطارق لنا في هذا الليل الغاسق فجاوبه القداح وقال أيها السيد العظيم أنا رسول الله بشارة كنعان وقال لعلك يا قداح جنت من عند الملك قال نعم انه قد اتاك ابنه له عشر آلاف فارس فنزل كنعان بنفسه إلى باب الحصن ليفتحه للقداح ونزل معه جماعة من قومه وقد امتلات قلوبهم بالفرح والسرور فتقدم الإمام إلى الباب وترك القداح وراءه لأنه سمع المفاتيح عند افتتاحها فقبض بسيفه وطال وقوفه على الباب فلم يفتح وكان السبب في ذلك انه لما وصل عدو الله إلى الباب ومن معه وأراد أن يفتح بنفسه من شدة الفرحة ظهر له ابليس فلما نظر القوم شخصوا نحوه وذهلوا من منظره فأتى إلى كنعان واخذ المفاتيح من يده وولى راجعا وأشار إلى القوم ان يتبعوه إلى الحصن فلحقوا في اثره فلما بعد عن الباب قال ياو اليكم أنا رسول المنيع جنت إليكم لا نظر ماذا تصنعونه با نفسكم حيث أردتم ان تسلموا حصنكم إلى علي ابن أبي طالب بلا قتال ولا نزال فقال كنعان أيها الرسول الكريم وأين علي بن أبي طالب فقال ها هو واقف على الباب مع القداح من حزبه ومن أهل دينه وقد ساقه إليكم

[68]

ليهم عليكم فاندش القوم من ذلك .

(قال الراوي): فلم يشعر الإمام حتى نزلوا عن يمين الباب وعن شماله وبايديهم السيوف والجحف وجعلوا يتصارخون با لامام فاخذ عليهم الإمام محاذيا إلى الباب فلم يترك احد منهم يخرج إليه وناداهم بعلو صوته يا معشر اللنام لقد اخطاكم الامل فانا علي بن أبي طالب قاطع الاجل قوثب اللعين كنعان وعدو الله مداعس ومن معهم وكان كنعان معه جحفه منجية وهو واثق بجحفته وقوة ساعده فتقدم إلى الإمام وضربه ضربة شديدة فاخذها الإمام علي جحفته ثم عطف عليه الإمام وضربه بسيفه فتلقاها عدو الله بجحفه فقطع السيف فلما وصل إليه من الجحفة ورمائها ولو ملكته لاهلكته وكان كنعان واثقا بها متمكنا منها فلما رأى عدو الله ذلك من الإمام اقبل على قومه وقال يا ويلكم ادفعوه حتى يبعد عن الباب إلى الخلاء ليتسع عليكم الفضاء وتملكوا انفسكم فطلع من داخل من داخل الحصن أعلى الصور وارسلوا عليه الصخور والجنادل من أعلى الباب فنزلت عليه كالمطر فتأخر الإمام عن الباب لهول ما لحقه .

(قال الراوي): فعند ذلك فرح الإمام فرحا شديدا حيث خرج عدوا الله مداعس وخرج والده كنعان في اثره ومن كان معه من الرجال ولم يبق في الحصن الا القليل ثم أمر اللعين كنعان بعلق الحصن وايقاقه من وراء القوم ثم نادى الإمام برفيع صوته يا شرحبيل دونكم والقتال فإن شئتم فواحد لواحد وان شئتم فكلكم لواحد برفيع بعث ابن عمي رسول الله صلى الله عليه وآله]

وسلم بالحق بشيرا ونذيرا ما أنا براجع عنكم حتى اشبع الوحوش والطيور من لحومكم الخبيثة وأنا واحد واثق بواحد فهو على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

اما تعرفوني أنا ممزق الكتائب ليث بني غالب أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب فقال له كنعان لولا يكون علينا عار لهجمننا عليك بكليتنا وإنما يبرز إليك واحد منا قال الإمام رضي الله عنه يا عدو الله ورسوله وعدو نفسه افعل ما بدا لك وما تريد .
(قال الراوي): فعند ذلك تقدم رجل من المشركين يقال له سباع إلى عدو الله كنعان وقال أيها السيد أنت تجود لي بلبسه وما عليه من الثياب والعدة والسلاح وأنا آتيك به أسيراً ذليلاً حقيراً فقال كنعان لك ذلك يا سباع وحق

[69]

المنيع الاله الرفيع لئن آتيتني بابن أبي طالب لأزيدنك على الذي قتلته بأكثر فعند ذلك خرج سباع من بين المشركين فرحا مسرورا وظن أنه يغلب الإمام ويأسره وجعل يرتجز وينشد يقول:

لقى سلاحك يا غلام وآتني *** من قبل أن تردى بحدّ حسامي

(قال الراوي): فلما سمع الإمام ما قاله سباع تبسم ضاحكا وقال:

ها أنا مقبل إليك وواقف لديك فقال له اسرع لنحوي

فجاء الإمام إلى نحوه فظن عدو الله سباع ان الإمام سلم نفسه إليه حتى يؤسره فتقدم سباع وهو يظن انه قادر عليه فلما دنى عدو الله سباع وثب إليه الإمام كانه أسد إذا عاين فريسته، وضربه ضربة على رأسه بالسيف فشققه السيف نصفين ونزل عدو الله إلى الأرض قطعتين فعند ذلك التفت الإمام إلى كنعان وقال له يا عدو الله وعدو نفسك دونك والقتال فقد مضى صاحبك إلى الناس وبنس القرار فلما رأى مداعس بن كنعان ذلك من الإمام تقدم إليه وجعل ينشد ويقول :

أنا الفتى المشهور في الفوارس *** أنا الهمام الضعيف المداعس

أنا ابن كنعان المسمى يافتي *** أنا مبيد البطل المحارس

أنا الذي احيا ليوم كريهة *** وخانض الغمرات في الغلامس

(قال الراوي): فلما سمع الإمام كلام مداعس تبسم ضاحكا وقال يا ابن كنعان دونك والضرب والطعان، فانطلق إليه ومال نحوه فلما اتاه وثب إليه الإمام وثبته المعروفة فوصل بها إليه وقبض بكلتا يديه ثم ضم الجواد إليه ليقلبه عليه فايقن مداعس با لهلاك واخذه الارتباك فصاح من شدة ما اصابه يا ابن أبي طالب بحق ابن عمك الا ما ابقيت علي واحسنت بكرمك الي فمد الإمام يده وقبض عليه من سرجه وامسك راسه واوثقه كتافا بعمامته وقاده فرسه إلى صخرة هناك ورماه ثم ركب جواده وتقدم على مهل من غير طيش ولا عجل إلى ان اتى القوم وقال يا نسل اللئيم هل فيكم من يبرز إلى القتال ويبادر للنزال فناده يا ابن أبي طالب كن مكانك فاني قاصد إليك وهاجم عليكم ثم برز عدو الله كنعان وكان نسيم السحنة وبدت غره

[70]

القمر مع انه كان في اخر الشهر فنظر الإمام إلى كنعان وهو كانه الليث الجحود وهو راكب على برزون اشهب من البرازين العظام مهول لعظم خلقته فلما تقاربا نادى عدو الله كنعان يا ابن أبي طالب وطالت ولدي مداعس فقال علي قد كان ذلك وأنت الآخر ان شاء الله تعالى فقال كنعان قتلته أم لا قال له الإمام انما هو بقبضتي اسير فقال كنعان يا ابن أبي طالب لو كنت ما ابقيت عليه ما ابقيت عليك ولقد كنت اضمرت اني لا امتعك بالحياة بعد طرفة عين واعلم يا ابن أبي طالب انه ما ثم مخلوق على وجه

الأرض يقدر علي وليس له طاقة بي فسلم نفسك قبل ان ينزل بك الضمار ويحرقك الاله المنيع بالنار فلما سمع الإمام ذلك حمل عليه وضربه بجحفته على راسه فنزل هاويا إلى الأرض مغشيا عليه وقد اندق منخره في الأرض فبرك عليه كانه الاسد واوثقه كتافا ثم تركه على حاله وعمد إلى القوم فكان يقول للرجل قل لا الله الا الله محمد رسول الله والا قطعت راسك هذا الحسام فمن اطاعه تركه ومن خالفه هلك فعندما رأى القوم ذلك تصايحوا الامان الامان يا ابن ابي طالب واشرف من كان في اعلا الحصن من الرجال والنساء على قوم الإمام وقالوا لهم أنا نسالكم ان تأمنونا من امركم هذا ونحن مطيعون له فيما يامر به ففرح أصحاب الإمام بذلك وزال عنهم الحزن والقلق وسمعوا الإمام يقول يا قوم لا امان لكم عندي حتى يكتف بعضكم بعضا فلما سمعوا ذلك اقبلوا على بعضهم واوثقوا انفسهم عن اخرهم واقبلوا إليه اسارى فجمع اسلحتهم عنده ولم يبق في الحصن معاند ولا منازع غير النساء وهن خانقات واجلات مذعورات لما راوا من الإمام وهالهن ذلك ثم ان الإمام أمر من كان اسلم في القتال ان يمضي إلى النساء وان يوثقهن كتافا فمضى إليهم جماعدا ففعلوا ذلك ثم ان الإمام اقبل على عدو الله كنعان وكان قد افاق من غشيته وهز السيف في وجهه فقال يا ابن ابي طالب قل ما أنت طالب وعليه عازم فقال له الإمام يا كنعان قل لا اله الا الله محمد رسول الله تكن لنا ولك السعادة والنجاح واياك ان تنكرها فيحل بك البلاء الفضح وتخرج روحك من جسدك كخفة البرق إذا لاح فقال يا ابن ابي طالب ومن

[71]

ينفضني من نار المنيع وسطوته فقال له الإمام يا ويلك ان المنيع قد ولي زمانه وحان هوانه واتى بواره وقرب دماره فلم يمهله الإمام وقد اشتد به الغضب دون ان يضربه ضربة هاشمية محمدية فوقعت الضربة على عاتقه الايمن فخرج السيف من تحت ابطه الايسر فوقع عدو الله كنعان واقبل بها إلى الباب ففتحه وظهر بها إلى القوم فوجدهم قد افنوا من عندهم من المشركين ولم يبق الا من قال لا الله الا الله محمد رسول الله وصفا وقت عشيهم في انتظار ان يخرج إليهم الإمام عدو الله وراس كنعان في يده وفرحوا ثم ان علي قال لهم يا قوم أين مداعس بن كنعان فاقبلت إليه الرغداء بنت الخطاب وقالت يا سيدي انه لحق بابيه إلى النار وبنس القرار فشكرها على ذلك وجازاها خيرا ثم ان علي أمر القوم بدخول الحصن فدخلوا والإمام في اوانلهم وهو يقول فتح الله ونصر الله وخذل من كفر ثم بعد ذلك امرهم باحضار الاسارى فاحضروا بين يديه فأمر بحل كتافهم فحلوهم .

(قال الراوي): ثم ان علي اراد ان يرتحل من ذلك الحصن فا قبل عليه ناقد ابن الملك وقال يا ابن عم رسول الله اني أريد ان اسالك عن أمر فإن كان فيه معصية فاني اتوب إلى الله سبحانه وتعالى منه وان كان فيه سماح فاسمح لي فيه فقال له الإمام وما ذاك يا ناقد فقال يا ابا الحسن روجي لك الفدا ان لي في المأسورات من النساء التي هن في الحصن ماسورة المنى اسرها وها هي الامن بنات الملوك والعز والدلال كانت مقيمة تحت ذي الضلال وهي ابنة امي وابي اعز الخلق عندي ان الولد مولود والبعل موجود والاخ مفقود وهممت ان اخاطبها لادعوها إلى ما دعوتنا إليه من هذا الدين البهي والإسلام النقي فإن اردت ان تأذن لي في ذلك فالأمر إليك فقد كبر علي والله ما نزل بها فعند ذلك تغرغرت عين علي بالدموع وقال يا ناقد امض إليها فانت املك بها واحق فتتطف بها وشوقها إلى الإسلام وعبادة الملك العلام فخرج ناقد من القوم وسار إلى اخته وكانت اسمها عليا فلما اقبل عليها وهي في جملة المأسورات صعب عليه ذلك فعزت عليه فامسك

[72]

عن السلام فلما نظرته اخته من بين الماسورات بكت واشتكت وتنهت وقالت يا اخي تنساني في مثل هذا الوقت فتركني مطروحة بين الاسارى وما عرفت منك الجفاء منذ حياتي فعرفني يا اخي ما أنت عليه حتى اتبعك ولو كان فيه ذهاب روعي .

(قال الراوي): فلما سمع ناقد كلام اخته عليا سبقتة العبرات فبكى وقال لها يا اختي ان شئت يا بنت امي وابي ان تسريني باسلامك وتقري بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه [وآله] وسلم با لرسالة وان ابيت فهذا فراق بيني وبينك فلما سمعت عليا مقالة اخيها قالت يا اخي وقره عيني اني كرهت مفارقتك وانا مسرورة بطاعتك وانني قائلة بمقاتلتك ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فعانقها ناقد وضمها إلى صدره وفرح با سلامها ثم عرض الإسلام على النساء التي معها فاسلمت ففرح ناقد فرحا شديدا ثم مضى إلى علي واخبره بذلك ففرح باسلامهن واقهرهم الجميع في منازلهم واجتمعوا على الإسلام بعد الاجتماع على الكفر وفرحوا فرحا شديدا ما عليه من مزيد ثم ان علي ضم الغنائم إلى الحصن وامر علي على الحصن اميرا واوصاهم بحفظه وحفظ انفسهم إلى ان ياتيهم ثم ارسل رجلا ينظر خبر الجيش الاتي مع ابن الملك الهضام فسار الرجل غير بعيد ثم رجع إلى علي رضي الله عنه واخبره ان القوم وابن الملك قد اتوا إليه وزحفوا عليه وهو في عشرة الاف فارس ليوث عوابس قد انتخبهم من مائة الف فارس فقال علي نلقاهم قبل ان يلقونا فإن ذلك اهيب لنا والله المعين ينصر من يشاء من عباده ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم ارتحل من وقته وساعته وسار بعد ان بغله الله ما امله ثم سار بالقوم مؤيدا منصورا فما بعد عن الحصون غير ميل واحد أو ازيد حتى لاح له غبار قد سد الاقطار فالتفت الإمام إلى أصحابه وقال لهم يا قوم اني ارى عاكرا ولا شك انه غبار القوم وانني ارى ان تكشف عنهم الاخبار فما أنتم قائلون فقال ناقد يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ان الماء من وراءك والذي اراه من الراي ان ترجع بالقوم إلى المكان الذي كنا فيه غير فرار ولا جزع فتكون من ذلك على حالتين احدهما كثير الماء وسعة الفضاء والثانية تجمع الرجال والاتقال وجميع ما معك وتدخله الحصن وتخرج للقائهم

[73]

مجردا بلا عائق وهذا الذي اراه ورائك أعلى واوفق فقال له ارشدك الله يا ناقد ووفقك إلى الخير ثم قال للقوم ارجعوا بنا على بركة الله وعونه وحسن توفيقه فرجع القوم إلى حصن الصخر وادلجوا رحالهم وتقالهم وجميع ما معهم ونادى علي يا معشر الناس من علم من نفسه تقصيرا وخاف من جواده أو كان له عذر يمنعه من القتال فليجلس في هذا الحصن فمن يحل فيه ما عليه ملام فلقد اتانا فوارس وابطال فنتلقاهم ببوادر النزال ثم ان علي طاف على القوم يتفقدهم رجلا رجلا فكان لا يمر بشيخ ولا طفل ولا احد ممن لم يقدر على القتال الا ادخله الحصن فمازال كذلك إلى ان مر بالقداح بن وانلة وقد اشتد وتحزم واخذ في الصلاح فلما نظر علي تبسم ضاحكا وقال له يا قداح عليك بالحصن ولا تزال عنه فقال القداح لعلي رضي الله تعالى عنه والله يا سيدي مانديت بالإسلام ديننا فلا تقعدني مع النساء وانا معروف بمبارزة الشجعان ومبارزة الفرسان فقال علي يا قداح هل لك ان تمحو ما قدمت وما نزل من بلانك واسلقت فقال نعم يا سيدي أنا بين يديك امرني بما شئت فجزاه علي خيرا ثم قال يا قداح انه ليس فينا احد اقرب عهدا منك بالقوم وانهم قد ارسلك رسول الله حصن وتعود إليهم برد الجواب فهل لك ان تسير إليهم وتحديثهم بكلامك فينا وتذكر لهم انك لم تر لنا خبرا ولا اثر أو تبلغهم انك سمعت اننا ما وصلنا إلى صاحبهم فاقتله وان بعد عليك ذلك فاهد يسير القوم إلينا وهذا المكان يجمعنا فإذا نزل القوم واطمأنوا فيها نحن جميعا نفتح الباب في اقرب وقت ونخرج إليهم وهم على غير اهبة ويفعل الله ما يشاء فلما سمع ذلك القداح اطرق براسه إلى الأرض ساعة ولم يرد جوابا ولم يبد خطابا فقال يا أمير المؤمنين ما اراك الا تقدمني في المهالك أنا ما اصلح الا للحرب والنزال والمبارزة والقتال ولست اصلح للمراسلة ولا المكاتبه فإن اردت ان تعفو عني من هذا الحال وترسل إلى هذا الأمر غيري

من الرجال فدعني اكون امامك وبين يديك اقاتل من قاتلك واعادي من عاداك فقال له الإمام يا قداح ان اتكلت على نصرتك فانا العاجز المؤبد لك اتخشى من قوم فارقتهم البارحة وقد انتعنوا على سرهم ولا يضرك ان تعود إليهم وتذكر ما امرتك به فقال القداح يا سيدي فإذا أنا فعلت الذي امرتني به وخذعت به القوم وسقتهم إليك ثم ظهرت أنت من الحصن رجالك وابطالك فيعلم عند ذلك القوم ان مبتدا الأمر والمكر والحيل مني ومنتهاه الي فيحملوني على اطراف الاسنة ثم يقطعوني قطاعا فما اظنك الا وقد كرهت مكاني وتريد ان تبعثني لهلاكه فتبسم الإمام من كلامه وتضحك جميع أصحابه فقال الإمام اللهم ارزقنا عفوك يا ارحم الراحمين ثم اقبل على القداح وقال له يا ويلك اما يؤمنك منهم بعون الله طول ناعي وهجمتي واسراعي فيشغلون بي عندك لانني إذا نزلت في بيت فيه رجال شخضت اعينهم الي ورجفت قلوبهم هيبة من الله عز وجل القاها الله في قلوبهم فسر إلى ما امرتك به فإذا سرت فقل لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فعند ذلك نهض القداح إلى القيام فاقبل وهو لا يريد القيام فا قبل إلى مطيته فشدها واستوى راكبا ثم التفت إلى الإمام وقال يا ابا الحسن ها أنا اماض لامرك فإذا رأيت القوم قد تبادروا الي وعطفوا علي باسلحتهم فلا يشغلك عني شاغل ولكن باسك الي واصلا وابدا بخلاصي قبل ان تبطش بهم فقال له الإمام لك علي ذلك يا قداح امض وتوكل على الله فتوجه القداح سانرا فلما ولى تبسم الإمام وقال لقد اعطاك الله يا قداح من الجبن نصيبا يا ويلك فلو كان لك قلب لكنت رجلا عظيما وجعل الإمام يكررها مرارا ثم ان الإمام التفت إلى أصحابه وقال معاشر الناس لا تزالوا في اماكنكم حتى تنظروا ما يكون من أمر صاحبكم القداح فاني اراه جبانا والجبن اقبح شيء .

(قال الراوي): وما زال القداح سانرا إلى ان اشرف على القوم وهم سانرون نظر إليهم القداح حدث نفسه بالهروب ولكنه ثبت قلبه وقال والله اني لاحمل نفسي على المهالك ثم حرك مطيته إلى ان وصل إلى القوم فتبادرتة إلى نحوه الرجال وتاملوه فإذا هو القداح رسول الملك ففرحوا بقدمه ثم سألوه عن

حاله وعن خبره فلم يبده لهم جوابا فتسارع القوم إلى صاحبهم غنام بالبشارة بوصول القداح إليه ففرح غنام بذلك وقال وحق المنيع لاطأن ابن أبي طالب ولو انه وصل إلى مكانه بمكة لاسوقته إلى المنيع سوق الذليل ثم همز جواده إلى ان وصل إلى القداح ثم ناداه يا قداح ما وراءك وما لذي سمعته من الخبر فقال يا سيدي سمعت سمعت الخبر فقال غنام وما ذاك يا قداح فقال يا سيدنا وابن ملكنا الناس قد صبوا هذا الغلام من خوفهم منه حتى اني سألت النساء والصبيان فوجدتهم لا يتحدثون الا بحدثه ومقاله انه خرج من مدينة يثرب وحيدا فريدا وها هو قد جمع معه عسكر جرار عظيم بغير عطاء ولا وقد كأنهم كانوا لا يدري أين كانوا والموت بين يديه سانر وقد فتح حصن الوجيه وسار إلى حصن المرافق وهو الآن نازل بجيوشه وقد تركت أهل حصن الصخر حافظين له وقد اظهروا سلاحهم واعدوا للحرب مع ذلك الجيش وقد زاد الارق وكثر القلق واني لما بشرتهم بقدمك عليهم اطمانت قلوبهم وقد بلغني ان ابن أبي طالب سانر إليهم فقال غنام يا ويلك ما فعل بكنعان الذي كان يروع الوحوش والنساء في الاوطان والرجال في كل مكان فقال القداح واين كنعان وحق ابيك انه قد شغله عنك وعنهم شاغل ولا شك انه قد ولى وهو راحل فقال له غنام يا ويلك ما هذا انه نزل به الموت العاجل فصفق غنام ببديه ثم قال له يا قداح بشر بالخير فما فعل بولده مداعس فقال القداح وحق المنيع ان مداعس ادركه ما ادرك اياه فقال له يا ويلك يا قداح لا رجعت إلى اهلك سالما يا ملعون فما لحقتنا من

ردك خيرا فهل طرفهما الموت جميعا ووصل اليهما سريعا فقال له القداح يا سيدي سنخبرهم وترى ما حل بهم فاعرض عنه بوجهه وقال له صرف وجهك عني فقال القداح سمعا وطاعة لقد سألتني عن أمر فلم اقدر اکتّم عنه شيئا ولم يزل غنام سانرا بقومه إلى ان قرب إلى حصن الصخر فقال جنبل بن ركيع جاء والله يا ابا الحسن عسكر جرار وقد لاح والله لمعان سيوفهم واني يا سيدي ارجو من الله ان يكونوا غنيمة لنا وكان صاحبنا القداح قد ساقهم إلينا وهدن علينا ثم ان الإمام أمر الرجال والاثقال إلى داخل الحصن

[76]

وان يدخلوا الخيل والرجال والجمال وكان ذلك الحصن كبيرا واسعا يغيب فيه العسكر الجرار ولا يرى له آثار فلم يبق احد خارج الحصن ودخل الإمام واغلقوا الباب فلما استقر القوم في الحصن اقبل إليهم وقال يا معشر الناس ان القوم اضعافكم مرارا وقد بلغهم صاحبهم غنام انه افتك اخوته وابطشهم يدا وأكثرهم باسا واني عزمت ان اقدم بكم إليهم واهجم عليهم ان شاء الله سبحانه وتعالى فانظروا امامكم واياكم ان تبقوا على اقاربكم وعشائركم وان كبر عليكم فلك فلا تستعينوا بالمخلوقين واستعينوا بالله رب العالمين .

(قال الراوي): ثم ان الإمام قبل على من اسلم من أهل الحصن وقال لهم كونوا في أعلى حصنكم فإن خاطبكم غنام فخاطبوه واطهروا له السيادة واسالوه النزول عندكم فيزل عنه الشك فقالوا حبا وكرامة ثم التفت الإمام إلى جنبل بن ركيع وقال له كن خليفتي على من في الحصن حتى ارجع إليك ان شاء الله تعالى فقال له جنبل وحق ما اعتقده من حبك وولائك ما كنت الا معك وبين يديك املى احظى بالسعادة واغتم الشهادة فشكره الإمام على ذلك ثم اقام مكان خالد بن الريان وتقدم أمير المؤمنين وقال لأصحابه أنا خارج امامكم في نفر قليل من قومنا لاننا إذا خرجنا جميعا نخشى ما يفوتنا ما عزمنا عليه ويبعد عنا ما املناه ويستيقظ القوم لنا فقالوا له يا سيدنا ومولانا افعل ما بدا لك فدعا الإمام بناقد وجنبل والرغداء وغيرهم من الابطال المعروفة بالشجاعة فاقبلوا إليه ووقفوا بين يديه وقالوا له اوامرنا بما تريد فقال علي يا ناقد ان أنت وصلت إلى اخيك غنام فلا تياس عليه ولا تمدد يديك إليه بسوء وانتني به اسيرا واياك ان تأخذك لومة لانم في الدين فكن فيمن ذكرهم الله واتنى عليهم لما انهم عادوا في الله آباءهم وابناءهم وعشيرتهم فلما سمع ناقد ذلك تبسم وقال يا سيدي وحق ابن عمك محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان غناما اشد مني باسا واقوى مراسا ولا اطيقه في الحرب ولكن أنا واثق بالله تعالى ومتوكل عليه فقال الإمام يا ناقد قل لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم ان الإمام أمر أصحابه ان يرتحلوا وقالوا يا معشر الناس إذا رايتموا ناقد فاشجا القوم بالحرب فاتونا بخيلنا مسرعين فبينما الإمام كذلك وهو يوصي

[77]

أصحابه سمع صهيل الخيل وصياح الرجال عند نزولهم وقد ارتجت بهم الأرض فقال الإمام يا ناقد قد ظهر السرور والفرح فنظر إليه ناقد وهو مبتسم ضاحك فقال يا سيدي هؤلاء الجيوش قد ارتجت الأرض لكثرتهم فقال لا يهولتك ذلك فإن الله تبارك وتعالى معنا لا يخفى عليه من امرنا مثقال ذرة هو معنا اينما كنا وهو القادر عليهم بقدرته ينصرنا عليهم ان شاء الله تعالى قال ناقد يا سيدي لا افلح شانيك ولا خاب مواليك فشكره البطل الامال قال يا ناقد اني متشوق إلى الضرب اشوق من الضمان إلى الماء البارد فنزل القوم وامتدوا بالوادي فملأوا الأرض بالطول والعرض ونصبوا الخيام والمضارب فلما استقر بغنام الجلوس ولم يستقبله احد قال بن القداح بن وائلة فنودي به فاتى إليه ووقف بين يديه فقال له غنام يا قداح ما كان فيهم من يستقبلني ويخرج

لي قبل وصولي إليهم فقال له القداح يا سيدي ان خوف بن أبي طالب قد تمكن من قلوبهم فيخشوا من حيلة تقع بهم فبينما هو يخاطب القوم وإذا بباب الحصن قد فتح وخرج منه الإمام مسرعا ومعه قومه وقد تركوه مفتوحا وتقدم أمير المؤمنين وهو غير مكترث بهم إلى ان اخترق عسكر غنام ووصل إليه فوجده جالسا ومن حوله اكابر قومه القداح بأذانه وغنام يحدثه فلما نظر القداح إلى الإمام اصفر لونه وتاخر إلى ورائه فبقي غنام يحدثه وهو يقول يا ويلك قد اتاك الليث الغالب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ثم اشهر سيفه وفعل أصحابه مثله وكبر الإمام وكبر أصحابه الذين معه وسمعهم الذين الحصن فكبروا واطلقوا لهم الاعنة وقوموا الالسنة فلما نظر غنام ذلك اندهش وحرار وذهل ونظر أمير المؤمنين وقد يعلوه بالسيف فصرخ صراخا كبيرا منكرا فانكب عليه أصحابه من كل جانب ليمنعوا عنه الإمام فلم يكبر ذلك على الإمام وهو غير مكترث بهم بل صار يضرب يميننا وشمالا فيقطع بحسامه الدروع السانرة والبيض العادية فإن ضرب طولا قد وان ضرب عرضا قطع فبينما القوم كذلك إذ خرج من عساكر المسلمين غلاما امرد رشيق إلى جيش غنام وحمل عليهم فتأملوه فإذا هي الرغداء بنت

[78]

الخطاف فادركها وجازاها خيرا وامرها بان ترجع وقال لها نحن نكفيك هذا الأمر بانفسنا ثم اقبل ابن الملك إلى الإمام رضي الله عنه وقال يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اني عزمت على كشف القناع وأريد ان اقدم إلى اخي بالانذار فعسى ان يصلح إلى من شأنه وشان من معه فقال الإمام لا امنعك من ذلك اخرج على بركة الله تعالى ورسوله وحسن توفيقه .
(قال الراوي): فتقدم ناقد إلى اخيه ونادى برفيع صوته يا اخي قد ظهر الحق لطالبه وخسر صاحب الباطل في مذهبه قد ذهبت دولة الاصنام وجاءت دولة الإسلام وعبادت الملك العلام وظهر دين محمد عليه افضل الصلاة والسلام ثم نادى اخاه غناما وقال له مثل ما قال لاخيه فلما سمع غنام ذلك من اخيه ثار بالغضب واخذ الغيظ والحنق فقال لقومه هذا اخي الضال فإذا رأيتموني وصلت إليه فسارعوا نحوي عاجلا فقالوا له سمعا وطاعة ثم خرج من قبل المعسكر وهو ينشد يقول :

لبيك أنت أخي إن كنت منقذي *** من الهلاك منجيني من النار

لبيك يا ابن أخي إن كنت مسعدني *** فالسعد انجلي لي من ظلمة النار

بادر إلي وخلص مهجتي ودمي *** من المهالك واسمع بث اسراري

(قال الراوي): فلما فرغ غنام من شعره اتى نحو اخيه بغير عدة ولا سلاح فلما رأى ناقد اخاه وهو على تلك الحالة لم ينكر شيئا من امره فدنا منه ليعانقه ويستعطفه فلم يمهل غنام دون ان دكى بجواده ثم دخله وعاقصه وضرب بيده يده على أطواقه وسحبه إليه فاقتلعه من سرجه فلما رأى المشركين من غنام وقد اقتلع أخاه ناقد من بحر سرجه أتوا إليه مسرعين مسرورين حيث أخذ ناقد من المسلمين فلما أخذه غنام أوثقه كتافا وسلمه إلى أصحابه فمضوا به إلى عسكرهم فلما رأى الإمام من المشركين لم يمهلهم دون أن حمل عليهم وحمل معه أصحابه ومالوا على المشركين فحمل غنام وحمل معه أصحابه ومنعوا الإمام وأصحابه الوصول إلى القداح وناقد ولم يزلوا كذلك إلى أن اقبل فافترق القوم ورجع كل فريق إلى أهله وقد حزن المسلمون لفقد ناقد بن الملك

[79]

حزنا شديدا ورجع الإمام وهو يفور بالغضب وقال والله لا أكلت طعاما في ليلتي حتى أنظر ما يكون من أمر أصحابي ناقد والقداح فلا صبر لي عنهما .

(قال الراوي): ثم أمر الناس بإضرام النار وزيادة الحرس وجعل الإمام يطوف من حول عسكره يحرسهم بنفسه وهو قلقان على ناقد والقداح فبينما الإمام يحرس أصحابه إذ سمع هفيف الخيل وسمع صوت غنام وكان قد أثبت معرفته فلما سمع حسه اهتز فرحا وسمعه يقول لأخيه يا ناقد أما زعمت أن لك صاحباً بخصتك ومن الشدائد ينفذك فمالي أراه متباعداً عنك وللمهالك سلمك وناقد يقول يا ويلك إن لي صاحبين صاحب في السماء يراني وهو الكبير المتعال وصاحب في الأرض لو علم بمكان لأتاني وخلصني من سجنك وسمع القداح يقول لا آخذ الله من أوقعني بالخلاص وعدني وضمن لي السلامة من كل شيء يؤلمني وما زالوا كذلك إلى أن قربوا من الإمام وغنام في أوائلهم فوثب الإمام وثبة وصل بها إلى عدو الله غنام وقال له اقلل من الكلام فيها أنا أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب فسمع القداح صوته فصاح يا سيدي سألتك إلا ما خلصتني قبل صاحبنا ناقد فقد عملت ما نزل بي من أجلك وكان الإمام لما وثب إلى عدو الله غنام ووصل إليه مد يده وقبض على أطواقه وسحبه فاقتلعه من سرجه وقال له قد خلص أخاك صاحبه الأصغر بأمر سيده الأكبر فمن ينفذك مني يا ويلك وهم أن يعلوه بالسيف فقال له يا ابن أبي طالب ابق علي كما أبقيت علي صاحبك وأحسن إلي بكرمك .

(قال الراوي): فتقدم الإمام إلى ناقد وحله من وثاقه وأمره أن يشد أخاه غناما شدا وثيقا وتقدم إلى القداح وحله والعشرة أبطال الذين أتوا معه ينظرون إلى فعل الإمام فما جسر أحد منهم أن يتكلم فلم يستطيعوا أن يتحركوا من أماكنهم فقال لهم الإمام من قال منكم: لا إله إلا الله محمد رسول الله فلا أمد يدي إليه إلا بالخير ومن لم يقلها مددت يدي إليه وقطعت رأسه بهذا السيف فقالوا بأجمعهم نحن نشهد أن لا إله إلا الله محمداً رسول الله ففرح الإمام بإسلامهم فرحا شديداً ثم أقبل إلى غنام وقال له هل لك في كلمة تقولها تمحو بها ما سلف من ذنوبك فقال غنام يا ابن أبي طالب وما هي الكلمة التي أقولها فتمحي



به ذنوبي فقال الإمام تقول لا اله الا الله محمد رسول الله وتقر الله بالوحدانية ولمحمد ابن عمي بالرسالة فقال غنام يا ابن أبي طالب هذا شيء لا أفعله أبدا وما أنا بتارك دين آبائي وأجدادي ولو قطعت إربا واعلم انك لم تكن من رجالي وإنما أخذتني غضبا وغدرتني ولو كنت لك في الميدان لبعد عليك ما أملتة ولا كنت ملكتي .

(قال الراوي): فعند ذلك وثب الإمام فحل وثاقه وهو يتململ من شدة غيظه ورمى إليه سيفه وجحفته واشتد غضب الإمام غضبا وقال لغنام يا عدو الله وعدو نفسك خذ سيفك وجحفتك واشتد وماتع عن نفسك فقال يا ابن أبي طالب القتال أحسبني كغيري من الرجال فلما سمع ذلك الإمام غضب غضبا شديدا وقال يا عدو الله لقد تجرأت في قولك فاعتزل إلى ناحية أخيك لنلا يهوله بك يا عدو الله وعدو نفسك ثم إن الإمام جذب سيفه وأخذ غناما واعتزل عن القوم ثم فاجأه مفاجأة الأسد لفريسته وضربه بالسيف ضربة هاشمية علوية فتلقاها عدو الله واستتر بجحفته على رأسه فنزل السيف على الدرقة فقطعها ونزل على رأسه من بين فخذه وتجدل طريحا يخور في دمه وعجل الله بروحه إلى النار فكبر الأمر عليه وأخذ ما كان عليه ودفعه إلى أخيه ناقد وسر علي بقتل عدو الله فقال ناقد يا أبا الحسن ما فعلت بعدو الله غناما قال يا ناقد انه صار إلى النار فلا تأسف عليه فإنه ليس بأخيك ثم أقبل على القداح وأخذ ما كان عليه وقال له يا قدام كيف رأيت نفسك قال يا أبا الحسن خلصتني بعد اليأس من الحياة والاشراف على الموت فقال له علي يا قدام إن الله قد أنفذك من الموت وإن شئت فارجع إلى اهلك ودارك مصاحبا بالسلامة فقال القدام يا ابا الحسن وكيف امضي واهلي ودياري وقد أنالني الله ما لم ينله احد من قومي قولا امضي حتى اخذ من الغنام ما يسرني و أسد به فقري وأوسع منه على أهلي وينشرح به صدري .

(قال الراوي): فتبسم الإمام رضي الله عنه ضاحكا من قوله وقال له يا قدام لأعطيتك من الغنام ما يسر قلبك ويعني ففرك وترجع مجبورا إلى اهلك إن شاء الله تعالى فقال القدام يا ابا الحسن هذا من فظلك وكرمك فعند ذلك عطف علي إلى عسكره وهو مسرور بالقوم وخلص أصحابه واخذ ما كان

وقتل عدو الله غناما فلما أتو إلى عسكرهم في ساعة واحدة وقد مضى من الليل شطره وقد كان أصحاب علي تفقدوه في الليل فلم يجدوه فكبر ذلك عليهم فلما وصلوا إليه ونظروا إلى ناقد والقدام والعشرة الذين اسلموا من جماعة غنام مع علي وقالوا له يا ابا الحسن هؤلاء القوم ما هؤلاء عصابة مالت إلى الإسلام ورغبت في الایمان ففرح القوم بذلك وباتوا ببقية ليلتهم فلما برق ضياء الفجر اذن علي وصلى بالناس صلاة الصبح فلما فرغ من الصلاة ناداهم يا قوم خذوا آلة حربكم واستعدوا للقتال رحمكم الله فاخذ كل منهم آلة حربه واتوا إلى ان وقفوا بين يدي أمير المؤمنين فوثب الإمام وعزم على القتال ونادى برفيع صوته معاشر الازدال كم تدفعوا الحق بباطلكم والحق اغلب وها أنا اشفق عليكم منكم على انفسكم واعلموا ان الله تعالى انقذ أصحابنا ناقد والقدام وقتل صاحبكم غنام واورده بحسامي موارد الحمام فهل لكم ان تقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله وهذا تصديق قولي لكم ثم نادى القدام وناقد فأجابوه واسرروا إليه فقال لهم الإمام نحن قوم لا نكذب ولا يلبق بنا الكذب فما أنتم قائلون .

(قال الراوي): فلما رأى القوم ناقد والقدام والعشرة ابطال الذين خرجوا معهم تحققوا الأمر وصدقوا الإمام في قوله واتوا نحوه قائلين لا اله الا الله محمد رسول الله وكان عشرة الاف قتل منهم في المعركة ثلاثة الاف الذين اتوا نحو الإمام واسلموا وحسن إسلامهم واختلط القوم بعضهم ببعض فخذهم الإمام وقرب إلى الحصن فخرج أهل الحصن إليهم واستقبلوا الإمام وجيشه واسلموا على يديه واکرموه غاية الاكرام فاقام عندهم بقية يومه في وسعة وقد كثر الله جمعه وأعلى نصرته ورفع قدره وجيشه

من خارج الحصن من كثرتهم وقد ازداد فرحهم لكثرة جمعهم وانقاذهم من النار ثم ان الإمام بعث طائفة وامر عليهم جنبل بن ركيع وارسله ليكشف له الاخبار وامره ان لا يعود إليه الا بخبر صحيح فسار جنبل من عند الإمام فما عاد الا وقت الصباح فلما اقبل على الإمام سلم كل منهم على صاحبه .

(قال الراوي): ثم ان الإمام رضي الله عنه جمع عسكره وجميع قومه وقال لهم معاشر المسلمين ان الله تبارك وتعالى اكرمكم

[82]

بكرامة الايمان وبعد ذلك فاتي أريد ان القى بكم جميعا فيه عشانركم الا وان الله تعالى قد باعد ما بينكم وبينهم واني لاخشى ان يداخلكم الربى على قربانهم وهذا عسكر قد اجتمعوا لصاحبك فيه خلق كثير من سائر جميع العربان ثم قال يا جنبل ما وراءك قال جنبل كل خير وسلامة يا أمير المؤمنين لان الملك الهضام قد خرج إلينا بجميع قومه وجميع عسكره وهم مائة الف فارس مامنهم يا سيدي الا كل بطل مداعس غير ما معهم من الصعاليك والعبيد من سائر قبائل العربان فقال أمير المؤمنين يا جنبل لو انه يكون مع ذلك الكافر جميع أهل الأرض ما كبر علي لقاءهم ولقد كنت معولا على لقائهم وحدي يا جنبل فكيف اخشاهم اليوم وانا معي هذا الجيش والله المستعان وعليه سبحانه وتعالى الاتكال وهو حسبي ونعم الوكيل ثم ان الإمام أمر بالرحيل فتواثبت الرجال إليه كالاسود الكاسرة واحدقوا بالإمام من كل جانب ومكان ثم نادى الإمام فقال يا ناقد أنت اعرف با لطريق وهي بلادك وأنت اعرف بها من غيرك فسر بالقوم فقال حبا وكرامة يا أمير المؤمنين ثم تقدم ناقد وبقي الإمام وجنبل ابن ركيع والرغداء بنت الخطاف واكابر قومه محدقون به وقد اخر إلى ما وراء القوم وهم سائرون في اثرنا قد بن الملك فما زال القم سائرين وحميت الشمس واشتد الحر وناقد في اول القوم والإمام رضي الله عنه وجنبل والرغداء من وراء القوم متباعدين عنهم فبينما هم كذلك إذ نظرنا قد فرأى فارسا مبادرا من وراء ربوة كانه طالب أو مطلوب وهو شك في سلاحه فنظر الفارس فرأى ناقد وهو اول القوم .

(قال الراوي): فلما رآه ناقد انقض عليه كانه الاسد إذ عين فريسته وترك الناس وقوفا في انظاره فلحق بهم علي فقال علي فقال لهم يا قوم ما الذي اوقفكم عن السير فاخبروه بخبر ناقد فقال الإمام ماكان يجب ان يهجم عليه وحده فلا يامن ان تكون ظليعة القوم كامنين فيقع فيهم ثم فتقدم إلى القوم وجعل يسير بهم على مهل لابطاء ناقد عنه فما كان الا ساعة من الزمن وإذا بناقد اقبل والفارس معه وهو يقوده اسيرا بعد ان اوثقه كتافا وشده من فوق راسه بالقيد ولم يزل سائرا به إلى ان وصل إلى الإمام فلما نظره الإمام رضي الله عنه تبسم وقال زادك الله يا ناقد خير فهل أنت تعرف هذا الفارس قال نعم يا ابا الحسن انه من اكبر قومنا .

(قال الراوي): فقبل الإمام إلى ذلك

[83]

وقال له يا أبا العرب ما اسمك قال اسمي مضارب بن عراف الباهلي فقال له يا مضارب الصدق اوفى سبيل فاكشف لنا حقيقة امرك ولا تخفي علينا منتهى خبرك ولا تخادعنا فنحن حرثومة الخداع والمكر فقال مضارب يافتى ان فراسه العاقل لا تخيب وأنا متيقن فيك إنك صاحب الجيش ولكن يا أبا حسن أعطني الآمان فلما سمع الإمام من مضارب ذلك قال له لك الآمان ولا تخشى إن قلت الحق واستعملت الصدق فقل ما أنت قائل فقال مضارب يا أبا الحسن إن الملك العظيم الهائل الهضام لم بعث ولده غناما في العشرة آلاف فارس ظن ان ولده ياتي بك أسيرا فاقام يومه ذلك فلما جن الليل واختلط الظلام وأوى فراشه رأى في منامه رؤيا قد انتبه منها فزعا مرعوبا فلما أصبح الصباح بعث إلى حاشيته فقال لهم يا قوم إنني رأيت الليلة في منامي رؤيا أو عبثي فقال لي قومه يا أيها الملك العظيم انعم المنيع لك الصباح بقومه ما رأيت في منامك فقال اني رأيت غناما جالسا بين

يدي وانا احدته فبينما أنا كذلك إذ رأيت طيرا عظيما قد انقض علي وله مخالب كمخالب السباع وكانى اخذت ولدي وضمنته إلى صدري فهجم عليه الطير وهو في حجري فاخطفه بمخاليبه ولم أقدر على خلاصه منه واخاف ان يكون اصابه ضرر من ابن أبي طالب فلما سمعوا القوم منه ذلك قالوا أيها الملك العظيم انه داخلك وسواس احلام لأجل تعلقك بولدك ثم انه لما سمع ذلك أمر بتجهيز الجيوش ليحارب وقد عزم على المسير بنفسه وهو منتظر قدوم الجيوش إليه وجهاز جماعة وسيرهم وهم اربعة الاف فارس وامر عليهم رجلا يقال له جويثرة بن اسد الباهلي وهو بطلا شجاعا مشهور وامره بالسرعة لياخذ خبر ولده فلما وصلوا إلى الحصن المشرف واعلموا بسير الإمام إليهم كمنوا له في وادي الضباء بعد ان تفرقوا اربع فرق كل فرقة لها قائد منهم الف فارس وقد امرهم الملك انك إذا صرت بينهم ينفضون عليك بايديهم وان الوصية قد تقدمت إلى صاحب الحصن المشرف خالد بن بسطام الملقب بهجام ان ينجدهم ان هم قد عجزوا عليك والقوم في مكان من الوادي ومضايقه والأمير جويثرة بن الاسد أمير الجمع وهو في الجهة التي قبلك من جهة عطفة الوادي وقال لي سر على عجل واشرف علي بن أبي طالب وانظر كم معه من القوم واين

[84]

هو راجع إلى مسرعا فخرجت في امرك مجدا ولم يعلم القوم انك قد تكامل معك هذا الجيش العظيم والعسكر الجسيم فلما قدمت من جانب الوادي اسرع الي ناقد وقبض على وقادني بين يديك فاصنع بي ما شئت فقد اخبرتك على حقيقة الحال وانا اقول قبل ان تصنع بي شيئا اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان سيدنا محمدا رسول الله فلما سمع الإمام إسلامه سر سرورا عظيما ثم اقبل عليه الإمام على أصحابه وقال لهم معاشر الناس ما تقولون فيما قال اخوكم وحببيكم مضارب فقالوا يا ابا الحسن أنت الأمر ونحن المؤمنون وأنت القائل ونحن السامعون فجزاهم الإمام خيرا ثم التفت إلى ناقد وقال له اتعرف هنا منفذا أو مخرجا نخرج منه وندور من وراء القوم حتى نخلي بينهم وبين الحصن ونترك منا جماعة ههنا يلاقون عليهم وندهمهم في مكانهم فقال ناقد يا ابا الحسن ان الطريق سالكا إلى الوادي يمينا وشمالا فإن شئت فاعزم فما من احد من قومك الا ويعرف البلاد ومسالكها ففرقتنا على المكان ونحن ندهمهم من سائر الجهات فجزاهم الإمام خيرا ثم افرد مع ناقد الف فارس وقال له خذ في عرض البرية إلى ان تحاذي القوم من جهة الحصن واعطف على الجادة إليهم فانهم إذ نظروك وقد اتيت من جهة الحصن يظنون انها نجدة من صاحبهم الملك فاهجم عليهم وإذا قربت منهم فاحمل عليهم ومكن السيف فيهم حتى يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله وها نحن سائرين من بين ايديهم واقروا بهذه الابطال الشهم فسار ناقد بالف فارس فلما بعد ناقد بمن معه دعا الإمام بجنبل بن ركيع وقال له انني افراد له الف فارس وقال له يا جنبل خذ أنت بمن معك الوادي إلى ان تأتي لي به حيا ولا أريد من القوم فسار جنبل كما أمر الإمام وجد في المسير ثم دعا الإمام بالرداء وافرد لها الف فارس وامرها عليهم وقال جدي بهم من يسار الوادي وهو مجد إلى ان تأتي مكنم القوم فقالت له اسمع والطاعة فلما سارت الرغداء بمن معها تقدم إلى ان انحدر من الوادي فوجد القوم جلوسا في اماكنهم فلما نظروا إلى أمير المؤمنين وأصحابه قال جويثرة أنا وحق المنيع ان القوم قد علما مكاننا ولا انهم ظفروا بصاحبنا وارادوا قتله فكشف لهم عن حالنا وجملة أمورنا

[85]

ولكن امهلوه إلى ان يجوزنا واخرجوا عليهم ويأتي قومك من جهة الحصن فيكونوا في وسطكم وندور عليهم با لسيف حتى نفرقهم جميعا .

(قال الراوي): فبينما القوم كذلك إذ اشرف ناقد بمن معه من جهة الحصن المشرف وقد ثار التراب الغبار من حوافر الخيل ففرح المشركون بذلك وظنوا انهم نجدة لهم من الحصن ليساعدهم عليهم وقد انحدرت الرغداء بمن معها فحملت وحمل قومه معها ونادوا بأعلى اصواتهم واتى الإمام وجنبل واحتشدوا القوم بجمعهم فعند ذلك علم المشركون انهم مكروا بهم وان أصحاب الإمام قد دهموهم في امكانهم فحمل عليهم أصحاب الإمام حملة عظيمة وكشف الإمام راسه في معمة الحرب ونادى برفيع صوته يا معشر الناس ان الله سبحانه وتعالى مطلع عليكم وناظر إليكم والملائكة تتخلل صفوفكم فكان اعدانكم اكلا وازجرهم زجرا وتقاتل الناس في ذلك اليوم قتالا شديدا فلم تكن الا هنبهة وقد اخدموا شكر الله المشركين وقذف في قلوبهم الرعب من أمير المؤمنين وتزايد عليهم الأمر فولوا منهزمين مهزومين فلما رأى جيورثه ذلك علم انه لا طاقة له بالأمر وأصحابه وكان الإمام لم يصادقه في الحرب في ذلك اليوم ولا وقع به فخرج جيورثه من معمة الحرب وولى هاربا وتبعه أصحابه فاتبعهم المسلمون ووضعوا فيهم السيف من موضع المعركة إلى الحصن فلما نظر أهل الحصن إلى هزيمتهم أمر هجان بفتح باب الحصن حتى دخلوا فيه واوصاهم بحفظ بابه وان يكونوا عنده للمحاماه من الابطال .

(قال الراوي): ثم نزل هيجان شاهرا سيفه وهو كانه البعير لعظم خلقته فبرك جاثما على الباب والمنهزمون داخلون إلى الحصن وهو لا يوصدق بنجاة نفسه ثم ان جماعة من أصحاب الإمام تقدموا بابن الملك وجندب بن ركيع والرغداء بنت الخطاف وقد اغلقوا الباب دونهم فقتلوه عن آخرهم وما سلم من المشركين في ذلك اليوم الا من دخل الحصن ومنع عن

[86]

نفسه ثم اقبل الإمام على أصحابه وسار على مهل لا ن الإمام كان لا يتبع منهزما فقط ولم يزالوا كذلك إلى ان اجتمع بقية القوم من كل جانب وساروا إلى ان وقفوا قريب الحصن متباعدين عنه يسيرا .

(قال الراوي): فلما رآهم هجام خاف قلبه واصفر لونه وارتعدت فرانسه فقال لأصحابه وقومه احتفظوا حصنكم فقد طرقهم علي بن أبي طالب برجاله وابطاله وكان مع جيورثه في طليعته اربعة آلاف فارس فدخل معه الحصن مائة وسبعون رجلا وقد قتلك بقية قومه ولم يبق منهم سوى هؤلاء من وادي الظباء إلى الحصن وامر هجام سائر من في الحصن ان يعلو على السور وكان حصنا منعا لم يكن في تلك الحصون امتن منه ولا اوسع ولا ارفع بنا عنه وانما سمي بالمشرف لارتفاعه وعلو بنيانه وطرزه وكان الرجل إذ طلع على اعلا السور ونظر يمينا يلاحظ حصن الصخر وإذا نظر شمالا يرى الحصن المنيع وكان الملك الهضام إذا طرقه طارق أو دهمه داهم أو عدو أو دار حرب بين قومه بعث باهله واولاده وماله إلى الحصن المشرف لما يعلم من يمكنه قتته وماتته وعلو بنيانه ومنعته .

(قال الراوي): ثم ان القوم لما دخلوا الحصن امتنعوا فيه وتاهبوا للقتال وعزموا عليه وحضهم وقال لهم يا قوم ان حصنكم هذا قوي ومنيع وطعامكم كثير وماءكم غزير ومع هذا فإن الملك الهضام سائر إلينا بنفسه وقام عليكم فكونوا مطمئنين في حصنكم إلى ان تنظروا ما يكون من أمر ملككم فأجابوه إلى ذلك وقالوا له ايها السيد نحن معك وبين يديك نقاتل بدماننا وبانفسنا عن حريمتنا واموالنا فنحن لا نسلم حصنا للعدو ولو قتلنا عن آخرنا ففرح هجام بقولهم ثم اقبل على جيورثه وقال بكير عليك ما نزل بك لا تهتم بذلك فانا آخذ بشارك وان كنت تجزع من الملك الهضام والهك المنيع فسوف ارضيهما حتى ادفع لك ابن أبي طالب فتمضي به اليهما فاجابه جيورثه في هدوء وقال يا هجام اني رأيت أبي طالب في شجاعة لم ارى مثله في احد من العالمين ولا فعل مثله احد إذ كان انس ولاجن فقال هجام سوف ترى وتشوف حين امك قبابه فبينما القوم كذلك على السور يشدد بعضهم

بعضاً إذ تقدم الإمام وأصحابه فقاموا بالنبال والصخور ورشقوهم بالنبال فقال الإمام لا صحابه اتقوا الله عز وجل استروا با لجحف من حجارة المشركين فانهم عالون عليكم وليس هذا الحصن كساتر الحصون واني

[87]

أريد حصناً منيعاً وان سهامها إذا اتت وصلت اثرت وسهامكم إذا وصلت إليهم كانت واهية ولكن النصر من عند الله ينصر من يشاء وهو على كل شيء قدير فقولوا على بركة الله لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وترجلوا عن خيولكم وضيقوا الموكب على عدوكم فنزلوا عن خيولهم ونزل الإمام عن جواده وزحف بقومه وفرقهم من ساتر جوانب الحصن فاشتد القتال وتراتشقوا بالنبال وتعالى القوم على أصحاب الإمام فوصلت إليهم جنادهم وسامهم فصبروا لذلك صبر الكرام فلما نظر الإمام إلى ذلك عطف وقال لقومه ارجعوا إلى ورائكم بعضهم ببعض وانعطفوا عن القتال واجتمعوا إلى أمير المؤمنين ونزل الإمام مباحدا وقومه معه فتوضأ وامر الناس بالوضوء ثم قام فاذن وصل بهم صلاة الظهر فلما اتم صلاته اقبل على قومه وقال لهم يا قوم هل لكم ان تشيروا علي برايمكم فاني ارى ما املته من هذا الحصن متباعدا إلا أن يأمرنا الله بفتحه وهو على كل شيء قدير ونخشى ان تطاول القوم في القتال فيدھمنا مليكهم الذميم وان الله حامي اوليائه الابرار وخاذل اعدائه الكفار واخشى ان يفوتنا هذان الاتنان ومن معهما فهل فيكم من يشير علي بحيلة وخديعة نصل إليهم بها فتكلم كل واحد بما معه وكثرت الاقوال من القوم والإمام ساكت يسمع قول كل من قال .

(قال الراوي): فلما فرغ القوم من كلامهم وثب ناقد ابن الملك قائم على قدميه وقال يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انك ان اشريت فأبت جرثومة الحيل والجالب لاعدائه الخبل وقد سمعت اقوال كل واحد من قومك فقل أنت قولك فانت الموفق للصواب والفصيح في الخطاب ومنك يسمع القول والجواب فقال الإمام للقوم اما لقاء الملك ومن معه فهذا شيء لا بد منه لا محاولة ولو لاقيتهم وحدي أو يأتيني اليقين واصبر إلى رب العالمين الا اني فكرت في حيلة ازر بها هذا الحصن ان شاء الله عن قريب فقال له ناقد وماهي يا ابا الحسن وفقك الله قال يا ناقد نصنع المنجنيق كما صنعته ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما عسر علينا حصن النظام فقال ناقد وما هو المنجنيق يا أمير المؤمنين وكيف تكون هيئته ومن اي شيء يصنع فقال له الإمام نحتاج إلى اخشاب طوال قد قطعوا مده

[88]

اعوام وعدة يقطعها بها الخشب من مناشير وقواديم وفؤس ومسامير من حديد وحبال وكفة .
(قال الراوي): فقال ناقد بابي أنت وامي ان في هذا الوادي من وراء هذا الجبل حبلا فخذ منها ما يوافقك فتبسم الإمام ضاحكا وقال يا ناقد لقد تم الله بك امرنا ويسر عسرنا ثم التفت إلى أصحابه وقد تبين لهم السرور في وجهه وقال لهم يا قوم اسرعوا مع اخيكم ناقد واطيعوه فيما يامرهم واياكم ان تخالفوه في شيء فقالوا السمع والطاعة لله ولك يا أمير المؤمنين فاخذ ناقد ومعه ثلاثة الاف فارس وساروا واهل الحصن شاخصون لهم ما يدرون ما هم له صانعون إلى ان وصلوا إلى البستان فأمرنا قد فرقة منهم ان تجمع ليغا من النخل وامر فرقة تحمل الاخشاب على الجمال وامر فرقة تحمل ما هناك من الحديد والصفيح والمسامير واخشاب فلم تكن غير ساعة وقد جمعوا ما يحتاج إليه واتي به إلى أمير المؤمنين والقوم شاخصون إلى ذلك من اعلا الحصن فقال هجام لجويرثة ويحك اما ترى هؤلاء القوم وماهم صانعون ارادوا ان يسندوا هذه الاخشاب الطوال إلى جدران حصننا ويصعدوا لنا من فوقها ان ذلك امل بعيد وان مكانهم من وضع هذه الاخشاب إلى جدران حصننا فنحن العا جزون فبينما هم كذلك

وإذا بالإمام لما نظر إلى الليف والاختشاب والحديد ففرح فرحا شديدا وامر كل فرقة من قومه ان يشتغلوا بقية يومهم وليتهم والإمام يساعدهم بنفسه إلى ان فرغ المنجنيق وجميع آلتة فأمره بحمله فحملوه ومشوا به والإمام معهم إلى ان قربوا من الحصن وامرهم بنصبه فنصبوه وامرهم با يعقدوا آلتة وحباله ففعلوا ذلك وامر القوم ان يحملوا الصخور فحملوا واتوا بها ووضعوا عند المنجنيق ولم يصبح الصباح الا وقد ركبوه وفرعنوا منه .

(قال الراوي): فلما اصبح الصباح ونظر أهل الحصن إلى ذلك قال بعضهم لبعض يا ويلكم ما هذه الحيلة متى نصبت بايزاننا ليت شعري ما تكون هذه الحيلة وما يريد ان يصنع ابن أبي طالب فهذا قول هجاء واما قول جويرثه حين سمع ذلك هجاء فقال لاشك ان هذه حيلة نصبوها ليرتقوا عليها فيساوونا ثم يرموننا بنبالهم واعلم يا هجاء ان كل من صعد من اعلاها فهو هالك لا محالة فانه إذا انتهى إلى اعلاها رشقناه بنبالها

[89]

رشقا عنيفا متداركا فقال هجاء صدقت في قولك ثم ان الإمام افرد الف رجل بالدروق يمنعون عن أصحابهم واخذ فرقة وجعلهم حول المنجنيق يجرون الاحبال وامر بقية القوم ان يقفوا صفوفًا با سلحتهم وعدتهم ثم انه اخذ حجرا عظيما ووضع كفة المنجنيق وامر الرجال بجر الاحبال وتعلق بكفته وهو ينشد ويقول:

حجارة نازلة من ذا البطل *** دامعة ترمي الاعادي بالاجل

صنعها الشهم ابن عم المصطفى *** مدموم الكفار من كل بطل

(قال الراوي): فلما فرغ الإمام من شعره صاح بالرجال وأمرهم ان يسرعوا بشد الحبال والتكبير لذي العزة والجلال فكبر القوم بجمعهم وشدوا الحبال فارتفع الحجر في الهواء باذن الله وعلا علوا عظيما ثم انه امرهم ان يحطوا الحبال من ايديهم ففعلوا ما امرهم به فانقض الحجر من كفة المنجنيق وله دوي كدوي الرعد القاصف وازداد في الهواء ارتفاعا عظيما ثم وقع على الحصن فنزل على اثنين فهشمهما فلم يتحرك منها احد فذهل القوم عند ذلك وحرار واندشوا مما حل بهم والتفت هجاء إلى جويرثه وقال له الا تنظر إلى هذه الحيلة العظيمة التي نصبت فبينما هم في الحيرة وإذا بالإمام اخذ حجرا آخر ووضع في كفة المنجنيق واوصى الرجال بجر الحبال ثم جرت الرجال الحبال وكبروا ثم ارسلوا الحجر من ايديهم فهوى الحجر إلى السماء ثم سقط في الحصن فوق على جماعة من النساء فاهلكهم فعلا في الحصن وكثر الصياح والصرخ فلما نظر هجاء إلى ذلك قال وحق المنيع لقد رمانا امرهم الغلام بداهية عظيمة فاين المنيع اليوم يمنعه عنا وعن نصرته فبينما هم كذلك حائرون إذ اخذ الإمام صخرة عظيمة ووضعها في كفة المنجنيق ثم ان الإمام امرهم ان يفعلوا بها مثل فعلهم اولا فما استطاعوا ان ينقلوها من محلها وما قدروا ان يحركوها فزادهم الإمام رجالا وامرهم ان يكبروا فكبروا المسلمون وكبر الإمام ثلاثا واطلقوا الحبال من ايديهم فانقض الحجر في الهواء وزاد ارتفاعا وله دوي كدوي الرعد وكان الإمام قد قصد ناحية باب عدو الله الهجاء وجويرثه فوقعت على الباب وكان ذاك الباب العظيم على قبة معقودة عظيمة قدمها وصارت حجارتها طائرة في

[90]

الهواء كأنها عصافير وعاد كل من صدمه حجر منه قتله فكل منهم جزع وقد ثار عدو الله الهجاء وجويرثه وقد تزيد بهم الخوف وصاحوا الا صبر لنا على هذا فقال هجاء وحق المنيع ان دام علينا هذا الفعال ملكنا عن آخرنا ولقد كنا نرجزا الملك الهضام ان يرسل لنا احد قومه ويسير إلينا بجيوشه فينصرنا على عدونا ولقد غلبنا وان غاب بقية يومنا هذا وليتنا لاهلكتنا علي بن أبي

طالب ويملك حصننا بعد ان يقتلنا ولم يزل الإمام يرمي عليهم بقية يومه فقتل منهم خلقا كثيرا فلما ولى النهار وقبل الليل وانسدل الظلام رجع الإمام بمن إلى اماكنهم وتركوا المنجنيق على حالته .

(قال الراوي): فالتفت إلى أصحابه وقال يا قوم هذه الليلة حرس ثم ان الإمام دعا بناقد وجنبل والرغداء وخالد بن الريان ووهم الحرس بالقوم واوصاهم بمداومة السهر فقالوا السمع والطاعة يا أمير المؤمنين ثم قالوا يا ابا الحسن لو انك اخذت معك من قومك ولو مائة رجل لطارق يطرق أو مائة يعيق فافي الحصن حيات تلسع وعقارب تلدغ فقال له يا ناقد ان لنا رب يعيننا على تلك العقارب والحيات الاراقم ونهلك بمشيئة الله كل كافر ونحن فينا الكفاية ثم ودع القوم وسار إلى ان وصل إلى المنجنيق فوقف بازائه وهو مستقبل القبلة ولم يزل يصلي ويتضرع إلى الله سبحانه وتعالى إلى ان مضى من الليل أكثره والناس في طيب هجعتهم ولذة رقادهم فبينما الإمام في صلاته إذ سمع صرير الباب وفتح الاقفال فلصق الاما بطنه على الأرض وتحقق النظر إلى باب الحصن فرآه فتح وإذا هو بالرجال قد خرجوا منه بعضهم وراء بعض وجعل الإمام يعدهم واحد بعد واحد حتى انتهى إلى مانتى رجل وقد كان عدو الله هجام قد تشاور في تلك الليلة على قطع المنجنيق وقطع حالة مشابهة وقطع البستان حتى لا يبق فيه شجرة ولا نخل وهجام وجويرته مع كل واحد منهم مانتى رجل من صناديد القوم وشجعانهم فلما خرجوا من باب الحصن امروا من بقي من قومهم ان يغلقوا باب الحصن من ورائهم ثم اقبلوا يمشون وقد احفتوا حسهم وحركتهم ولم يزالوا كذلك إلى ان وصلوا المنجنيق والإمام مراقب لهم وقد امتشق سيفه من جفيره وقبض عليه بيده وعلى جحفته وهو لاصق ببطنه على الأرض ولم يداخله هلع

[91]

ولاجزع وهجام وجويرته في اوانل القوم فسمع جويرته يقول وحق المنيع ياهجام أنا لا نامل علي بن أبي طالب ان يعلم بمكاننا فلا بد ان ياتينا ويصل بشره إلينا ثم انه أمر طانفة ان يسيروا إلى البستان فيحرقوه بالنار فتوجه جماعة من القوم إليه وتقدم الباقون إلى المنجنيق جويرته وهجام يقول وحق المنيع لا قصدن علي ابن أبي طالب اينما هو نازل ولا خذنه اسيرا ذليلا ولآتين به واوصله إلى الملك الهشام والمنيع يفعل فيه ما يشاء ويختار كل هذا والإمام يسمعه وهو صامت ولم يرد عليهما جوابه وهو صابر لاحكام الله تعالى ولم يزالوا كذلك إلى ان وصلوا المنجنيق وهموا ان يقلدوه فعند ذلك وثب لهم الإمام قائما على قدميه وصرخ عليهم صرخته المعروفة بين القبائل بالغضب فدوي منها الوادي وقال لهم إلى أين يا اولاد اللنام فذهل القوم واندشوا وبهتوا ولم يجدوا مفرا مما نزل بهم فبادرهم الإمام رضي الله عنه بذي الفقار وجعل يضرب يمينا وشمالا ولم يزل الإمام يقتل فيهم إلى ان ولوا منهزمين على وجوههم هاربين والى حصنهم طالبين واما جويرته فانه شخص ولم ينتقل من مكانه ولم يتحرك من موضعه من شدة ما اصابه واما هجام فانه لما عين ذلك قلب جواده وعطف ركض إلى جهة الحصن وصرخ بمن فيه افتحوا ففتحوا له وقتلهم فدخل الباب من خلفه وقد جرى الإمام وراء من كان معه من القوم وقتلهم جميعا خارجا عن الحصن وكانت عدة القوم مانتى رجل فلم يدخل الحصن غير اربعة وسبعين رجلا وقتل الباقون وقد كانوا دخلوا قبل هجام .

(قال الراوي): واما الإمام فانه لما فرغ من قتل بقية القوم عند باب الحصن ورجع إلى المنجنيق وجد جويرته واقفا وقد امسك الله جوارحه فلم يستطع ان يتحرك بحركة فاعلن الإمام بدعائه ليسمع قومه لما علم انهم مطاولون إليه فنادى يا معشر الناس لا يضرتكم القلق ولا يداخلكم الارق فاني بعون الله سالم وبنصره غانم فاني قاتلت قتالا لا ارجو به الا رضا الجبار ودمار الكبار فاستبشر الناس بقوله وفرحوا بكلامه وعاد الإمام رضي الله عنه إلى صلاته وخشيته لمولاه وجويرته باهت يراه ويسمع قراءته ونداه وينظر إلى ركوعه وسجوده وتفرعه وتعفير وجهه من التراب ولم يزل الإمام كذلك إلى برق الفجر فاذن الإمام في ذلك

المكان فعلم آذانه جميع عسكره فأجابوه من كل ناحية ومكان ثم ان الإمام صلى صلاة الفجر في مكانه وجلس يذكر الله حتى طلوع الشمس واقبلت أصحابه فلما نظر أهل الإسلام إلى جويرثه والإمام وهما كالاسود الكسرة الهائلة ففرحوا بسلامة الإمام فنزلوا حتى بادوا إليه فقال لهم الإمام انزلوا حتى يتصاهى النهار بارك الله فيكم فنزلوا يتحادثون معه كيف صنع في ليلته وهو يتحدثهم بما وقع له في ليلته فبينما هو جالس وإذا بالشمس اشرفت وامتلا بنورها الأرض فنظر الإمام إلى الحصن وإذا عليه عنة منصوبة واحبال مفتولة وكفات مطبوعة وجنادل موضوعة فبينما هم ينظرون إلى ذلك إذ اخذتهم الاحجار من كل جانب وكان ابليس لعنه الله صنع للقوم المنجنيق واخبرهم انه رسول المنيع قال فلما رأى الإمام ما حل بأصحابه قال يا ناقد اما تعلم هذا الحصن من مدخل قال يا أمير المؤمنين لا اعلم له مدخلا الا من عين الطباء وهي ان تضع حجرا فيه ليحجز الماء عنا وندخل آمين فأمر الإمام أصحابه بفعل ما امره ناقد ثم دخلوا واحد واحد فلما تكاملوا داخل الحصن هجموا على المنجنيق فحطموه فاتتهم جنود عدو الله ابليس وهجموا على القوم فنادى الإمام لا تحاربوا مع الجن دعوني لهم ثم ان الإمام هجم على الجن فسمعه الناس عند هجومه يقول بلوامع الابراق من نور الجبار اطفئ نا الرمدة الاشرار وازحهم باسماء الله الكرام الشريفة المنيعة وسر اقسام الله العالوية يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران ثم غاب في السرب فلم يسمع له احد كلام فلم تكن الا ساعة وقد سمعوا من السرب صياحا وضجة ولم يزل متماديا وقد خمدت الاصوات واقشع الدخان وزاد الشرار ولم يسمع الناس للإمام كلاما بعد ذلك ولم يعرفوا له خبرا وقد انظر الناس رجوع الإمام فلم يرجع فقلق الناس لذلك قلقا شديدا وماج العسكر والناس يسيرون من فم السرب إلى المكان الذي فيه العسكر ولا يطيب لاحد منهم كلام ولا يقر لهم قرار وكل منهم قلق على الإمام ولم يزالوا كذلك إلا أن مضى من الليل الثلث فبينما القوم في اشد القلق .

(قال الراوي): وإذا هم يسمعون صوت الإمام

ينادي من أعلى الحصن نصر من الله وفتح قريب فعد ذلك أجابه جميع أصحابه بالتكبير والتهليل وقد اطلقوا له الاعنة فلما قربوا من باب الحصن سمعوا اصوات من داخله تنادي عليهم الامان الامان يا بن أبي طالب والإمام يناديهم إلى أين اللنام فوالذي بعث محمدا صلى الله عليه [وآله] وسلم بالحق بشيرا ونذيرا ما ارجع عنكم بمشيئة الله حتى ابدد فيكم الجميع واشتت منكم الشمل، ثم وضع فيهم السيف وصار يضرب يمينا وشمالا فتكاثر القوم عليه فصار يجمعهم بجحفته ويدفعهم فيكر دسهم فينزل إلى الاسفل الحصن عند ذلك يصيرون هشيما فاهلك منهم خلقا كثيرا وراوا منه ما لا طاقة لهم به فعند ذلك صاح من بقي منهم الامان الامان يا ابن أبي طالب فقال لهم الإمام لا امان لكم عندي يا اولاد اللنام حتى تقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ويكتف بعضكم بعضا ولم يبق منهم احدا الا اوثقوه كتافا فانحدر الإمام من الحصن إلى اسفله وعمد إلى باب الحصن وفته وقال لا صحابه ادخلوا وكبروا معي على بركة الله وتوفيقيه وعونه، فكبر القوم ودخلوا باجمعهم فرحين مسرورين ثم ان الإمام جلس يحدث ناقد عن الذي جرى له في السرداب مع المردة ثم مع عدو الله هجم فإذا هو به قائم فوقف بين يدي الإمام رضي الله تعالى عنه عند راسه ورفسه برجله ولكنه لم يعجل له بالقتل ولكنه ايقظه على مهل وقال له قم يا ويلك هل أنت امننت وتحصنت بغرور الشيطان، ها أنا علي بن أبي طالب قد اوصلني إليك الرحمن فقال له ومن أين جنت وما تصنع فقال له جنت إليك يا عدو الله لاقبض روحك ولا ازال الآن حتى يوصلني إلى الملك الهضام والهه المنيع واخرقهم في النار التي صنعوها بايديهم فقال هجم

يا ابن أبي طالب من دخلت علي فقد زاد سحرك على السحرة ومكرك على المكرة فغضب الإمام رضي الله عنه غضبا شديدا من هذا الكلام وتقدم إليه وقطع راسه واخذها وقال للقوم هذه يا قوم راس صاحبكم وكبيركم هجاء وقد عجل الله بروحه إلى النار فلما سمعوا من الإمام هذا الكلام هاج بعضهم وحملوا جميعا على الإمام رضي الله عنه فحمل رضي الله عنه عليهم

[94]

حملته المعروفة فتكاثروا عليه فناداهم إلى أين يالنام فوالذي بعث ابن عمي بالحق بشيرا ونذيرا ما ارجع عنكم ان شاء الله تعالى حتى افنكم عن اخركم بالسيف أو تقولوا باجمعكم لا الله الا الله محمد رسول الله فلما سمعوا ذلك قالوا باجمعهم نحن نشهد ان لا اله الا الله محمد رسول الله فقال لهم الإمام لا امان لكم حتى يكتف بعضكم بعضا فأجابوه واوثقوا بعضهم كتافا ودخل أصحاب علي رضي الله عنه فوجدوا اهله قد آمنوا فقال لهم رضي الله عنه تفرقوا في الحصن وجمعوا ماكان فيه فاخذوه ووضعوه في قلعة هجاء بن اسد الباهلي وختم عليه ثم انه عمر الحصن بالمسلمين الذين معه وامر عليهم هون بن صفوان الباهلي واوصاهم بحفظ الحصن وحفظ ما فيه من الاموال والامتعة وغير ذلك واقاموا في الحصن إلى آخر النهار ثم تفكر رضي الله عنه في العواقب فأمر أصحابه بالخروج من الحصن فخرج علي وخرج أصحابه إلى ان اتوا المكان الذي كانوا فيه اولا فلما نزلوا وتكاملوا تولى على حرس القوم فلما كان وقت السجر وهو يحول حول أصحابه مثل الراعي الشفوق على اغنامه وإذا هو بثلاث فوارس مقبلين على مادة الطريق فلما تحققهم رضي الله عنه ترك أصحابه وانطلق عنان جواده إليهم من قبل ان يصلوا إلى عسكره فلما وصل إليهم قال لهم من أنتم ياوجوه العرب ومن أين اقبلتم وقال أين تريدون فظنوا انه من الحصن المشرف فقالوا نحن طليعة من جيش الهضام قد قدمونا لنا خذلهم هذا الغلام علي بن أبي طالب وقد كان بعث قبلنا طلعة مع جويرته بن اسد وهي اربعة الاف فارس لياخذوا له خبر هذا الغلام والى أين وصل فهل عندك منه خبر يا هذا فقال لهم رضي الله عنه بنس الاخبار واقبح الاثار، اما جويرته فقد اسلم وقر الله تعالى بالوحدانية وها هو معنا مسلما وموحدا واما أصحابه فقد قتلوا عن اخرهم واما علي فهو أنا الذي اكلمكم وانتم بين يديه فلما سمعوا ذلك نهلوا وهموا بالفرار فلوى الإمام علي رضي الله تعالى عنه واحد منهم وضربه بالسيف فوقعت الضربة على راسه ووصل السيف إلى صدره فتكرس إلى الأرض ثم هم بالاثنتين الاخرين فقالوا يا ابن أبي طالب ابق علينا فقال لهم علي رضي الله عنه لن يجيركم من سيفي إلا أن تقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ففرح علي باسلامهم ثم سار الاثنتين بين يديه فاتي بهم إلى عسكره وسالهم عن الملك الهضام فاخبروه بخبره واقام علي رضي الله عنه بقومه بقية يومه

[95]

فلما برق ضياء الفجر اذن الإمام وصلى بالناس صلاة الصبح ثم اقبل عليهم وقال معاشر الناس ان هذا عدو الله الهضام قد خرج إليكم بجنوده وعساكره وقد قرب منا ولم يبق بيننا وبينه غير مسيرة الراكب المجد يوم ومعه مائة الف فارس غير ما اجتمع إليهم بعد مسيرهم فما الذي ترونه من الراي هل نسير إليهم أم نمتهل حتى يسروا إلينا مع ان سيرنا إليهم وهجومنا عليهم اهيب فاني لا افعل شيئا الا بمشورتكم ولا اخالفكم ولا احملكم ما لا تطيقون فقالوا باجمعهم يا ابن عم رسول الله افعل ما تريد ودبر امرك كيف شئت فانا لكلامك سامعون ومبادرون غير مخالفين .

(قال الراوي): فارتحل بالقوم وسار وجد في المسير إلى ان وصل إلى الحصن الاسود فنظر إليه الإمام فإذا هو كانه قطعة من الليل الدامس فتأمله الإمام فإذا المشركين قد تحصنوا فيه وشهروا سلاحهم ورفعوا رايتهم فلما اشرف عليهم عسكر الإمام لم

يكثرثوا به لتفتهم بكثرتهم وان الملك الهضام سائر إليهم فعند ذلك نزل الإمام بجيشه ثم سار الإمام وحده وسار إلى الحصن فلما قرب إليهم ناداهم معاشر الناس ان كان لكم شفقة على انفسكم ورغبة في حياتكم فافتحوا لنا باب الحصن فإن اببتم فنحن نسفك دماءكم بعد ان نقتلكم عن آخركم أو تقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله فإن قلتموها فاكف عنكم الشر وياتيكم مني الخير .

(قال الراوي): فعند ذلك أجابه صاحب الحصن الاسود وهو مساور السماك الباهلي وقال يا ابن أبي طالب أنا نعلم ان انصرام عمرك هو الذي اوصلك إلى ما وصلت إليه وبلغك إلى ما بلغت وقد وقعت في اوطاننا بهذه الشردمة القليلة والعصايد اليسيرة فلما سمع الإمام من عدو الله غضب غضبا شديدا وقال ستعلم يا ملعون فما على الرسول الا البلاغ ثم رجع عنه إلى مكانه وقد اصفر وجهه من الغيظ فسأله الناس عن امره قالوا يا ابا الحسن مالنا نراك متغير اللون فقال لهم مما سمعت من عدو الله مساور السفاك من فوق جدار الحصن واني لا افارقه حتى ياذن الله سبحانه وتعالى واظنه صاحبهم الفا ثم يامر الحصن فو الله لو وصلت إليه لهان على فعله وكلامه ثم ذكر لأصحابه ما قال عدو الله ثم قال معاشر الناس اشيروا علي بما اصنع فاني اخشى من قدوم عدو

[96]

الله الهضام ان يملك هذا الحصن فانه حصن منيع وما فتحا حصنا الا والذي بعده اشد منه فقال جويرته يا أمير المؤمنين ان فتح هذا الحصن بعيد والوصول إليه صعب شديد لان حجارته اشد من الحديد والماء عندهم عزيز وطعامهم كثير وصاحبه المتولي عليه فارس عنيد ولذلك سموه السفاك فهو المعرف بالسفك بين قبائل العرب لفكه دماء الرجال ونزل الإمام بجانب الحصن بحيث لا تصل إليهم سهامهم ولم يزل الإمام قائما إلى وقت الزوال فبينما هو كذلك إذ اشرف عليه رجل على مطية قد ارسل زمامها وطول حطامها وهي تحرق الأرض خرقا وتقطع البيداء قطعاً إلى ان وصل إلى عسكر المسلمين فنادى برفيع صوته معاشر الناس اني رسول إليكم فلما سمع الإمام ذلك قال لك الامان فاناخ الرجل مطيته وقال له أنت ظننت ان صاحب الجيش اوصلك من قريش فقال الإمام نعم فتقدم الشيخ وناوله الكتاب .

(قال الراوي): فاخذ الإمام الكتاب وقراه فإذا فيه مكتوب اسمك اللهم من صاحب الدار والقرار ملك الملوك المذل لهيبته كل سيد وصعلوك الهضام بن عون بن غانم الباهلي الملقب بمرارة الموت إلى الحدث العصفور والطفل المغرور علي ابن أبي طالب اما بعد فإن الذي فعلته ووصلت إليه وادركته فبقاء المنيع عليك واحسانه إليك فلا تغتر بفعلك والا زحفت عليك باسود زائرة وابطال للحرب متبادرة فيتركونك كشيء كان ولا بان وان أنت اطلعت واتيت مع حامل هذا ابقينا عليك واحسنا إليك فانظر لنفسك وتدبر لامرك وقد اعذر من انذر فلما قرا الإمام رضي عنه ذلك الكتاب صرخ في وجه موهوب صرخة المعروفة وقال قل له ليس عندي الا السيف فولى راجعا من حيث جاء وهو لا يصدق لنفسه بالخلاص من بين يدي الإمام فصار يجد المسير إلى ان وصل إلى الهضام فلما نظره الهضام قال يا موهوب اخبرني ما قلت وما قيل لك فقال أيها الملك هو جاوز المقدار ويرمي من يخاطبه بالنار وما كنت مصدقا اني راجع من زجراته ونهراته واني قد جادلته مجادلة المطارد وارجوا بذلك رجوعه عما هو عازم عليه قاصد فما رأيت يزداد الا غيظا وانه لم يكن اهلا لرد الجواب ولا ابقى موضعا للخطاب فانظر ما أنت صانع

[97]

فان عذا الغلام همام واسد ضرغام وقضاء نازل لايرد ولا يقاوم فلما سمع الملك ما قال موهوب جعل يعرض على انامله من شدة غيظه ثم خلع كبراء قومه وسادات عشيرته ووجوه أهل مملكته فلما اتوا إليه ووقفوا بين يديه قال لهم يا قوم ما تقولون في هذا

الأمر الذي وصل إلينا من هذا الغلام وان الملوك والسادات تقول في شأن من اتخذ لنا فاجابه كبراء قومه ان نذهب إليه وناخذ روحه بين جنبيه .

(قال الراوي): واما ماكان من الإمام فالتفت إلى ورائه وكان كثير الالتفات فنظر إلى غبرة ثائرة وعجاجة متعلقة مرتفعة وخيول كثيرة وهي سائرة نحوه .

(قال الراوي): فلما رآهم الإمام نادى معشر الناس قربوا من هؤلاء اللنام ودونكم والخيل يا بني الكرام فعطف الناس على الحصن فظلوا مسرعين والى الخيل مبادرين فاحتدت يهم العطفة والصياح من اعلا الحصن فظن اللنام ان الإمام هارب بأصحابه فقال له مساور إلى أين تريد يا ابن أبي طالب وقد جاء لاستقبالك لما علم بقدمك فلم يرد عليه جوابا بل انه تقدم إلى جواده واستوى عليه راكبا وكثر الطعن والضرب حتى دار المشركون حول الإمام كالحلقة الدائرة فبينما هم كذلك وإذا بصائح يصيح بالإمام فقصد نحوه فهو ناقد وقد كان ناقد قد قاتل في هذا اليوم قتالا شديدا فبينما ناقد في معمعة الحرب إذ عرفه عمه غمام راس القوم فصاح يا ناقد فقال ويحك يا ناقد ابن اخيه وقال لا خذك قبل ابن أبي طالب ثم حمل عليه وهاجمه وهم ان يقتلعه من بحر سرجه فما امكنه فبادره بضربة وظن انه قد قتل منها فتلقاها ناقد في الدرفة ولوحها قبل ان تصل إليه ولم يصبه منها شيء فلما رأى ذلك هجم عليه عمه غمام وهو لا يريد احد غيره فدخله وأراد أن يقتلعه من سرجه وضرب الآخر يده على عمه وربطوا بعضهما في سروجهما وتعاركا على جواديهما فبينما ناقد وعمه غمام على هذه الحالة إذ سمع صوته أمير المؤمنين فصاح ناقد لأجل ان يعرف الإمام مكانه وكان عدو الله رابطه فقصد الإمام نحوه وإذا هو ناقد متشابك مع عمه غمام فناده يا ناقد ابشر فقد اتاك الفرج من عند الله ومن امرك فلما نظر عدو الله هجمة الإمام عليه وسرعه إليه سبق ناقد وتاخر إلى ورائه وصرح بقدمه فمالت إليه الكتاب وخرج إليه مساور من الحصن بقومه

[98]

وانجده وقال الإمام إلى أين يا ابن أبي طالب من يخلصك مني واين ابن عمك محمد هيهات ان عاد ينظر إليك بعد هذا اليوم فتقدم الإمام إليه وضربه ضربة هاشمية علوية وقال مع ضربته الله اكبر خذها يا عدو الله من يد علي ولي الله فتلقاها عدو الله في درفته فقطع السيف الدرفة ونزل إلى راس عدو الله فجرحه جرحا يسيرا فلما احس عدو الله بالضربة ولى هاربا وللنجاة طالبا فاستجار في قومه فتقدمت الرغداء بنت الخطاب إلى الإمام وقالت له يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اتاذن لي ان احمل عليهم وابدهم فاذن الإمام وكشف لثامها واطلقت عنان جوادها وحملت على القوم وحمل الإمام معها وقال لها يارغداء لا تخافي ومعك اميرك فلما سمعت الرغداء ذلك من الإمام صارت كالاسد إذا عاين فريسته وحطت في القوم فصارت كل من ملكته ترسل راسه عن جنته وجالت فيهم يمينا وشمالا حتى قتلت منهم مقتلة عظيمة فلما عاين المشركون ذلك منها قالوا لاصبر لنا على هذا ثم تأخروا إلى ورائهم فصاحت بهم إلى أين يا اولاد اللنام فتقدمت إليها الفرسان واحتاطت بها الشجعان وسار الإمام في اثر الرغداء واحتاطت الرجال وكثر القتال ولم تزل الحرب بين الفريقين وازدادت العساكر وعل الصياح بين الفريقين فقال الإمام لأصحابه يا قوم في هذه الساعة ينصرنا الله عليهم فاحملوا بارك الله فيكم واصدقوا الحملة بالضرب ثم حمل الإمام ومازال حتى صار في وسط المشركين فنظر علما كبيرا هانلا وقد نظم رمحه من اعلاه إلى اسفله باللولؤ الرطب وكان ذلك العلم هدية إلى الهضام فقال يا اخي خذ هذا العلم معك لتفتخر به على ابن أبي طالب وليعلم ابن عمه محمد وجميع من معه لا يقدرين على مثله وكان إذا سار نصب ذلك العلم على راسه فاخذه غمام وسار إلى الإمام في ذلك اليوم ونظر إلى حسنه ولمعان جواهره

وكانت احباله من الا برسم موثوقة بجوانبه تحمله الرجال وتمسكه الابطال فلما نظر الإمام ذلك العلم وصفته قال لا صحابه يا قوم احملوا عليهم فاني حامل على صاحب العلم فغمني ان املكه منه واقتلعه من يده ان شاء الله تعالى فتقدم إليه ناقد وقال وانا معك يا أمير المؤمنين وتبادر القوم إلى الإمام وكل منهم يقول وانا معك يا ابن عم الرسول فلما وصل إليهم الإمام رضي الله عنه تصارخوا باجمعهم وصاح كبيرهم يا للعرب اتجدوني قبل ان ياخذ العلم فتصارخت الرجال بالإمام من كل جانب ومكان ولم يرجع عن الذي معه العلم حتى ضربه

[99]

ضربة هاشمية عربية فقسمه قسمين ولم ينطق بكلام ولم يبرح من مكانه فمال العلم من يده فلما راه الذين هم ماسكون الاحبال تركوه وولو هاربيين وللنجاة طالبيين فبادر الإمام رضي الله عنه إلى العلم واخذه قبل سقوطه إلى الأرض وضمه بين يديه فاسرع القوم وهم يظنون ان لا يطيق بحمله الإمام ولما حمل العلم وضمه بين يديه فاسرع القوم وهم يظنون ان لا يستطيع بحمله الإمام ولما حمل العلم انطلق به ولوى عنان جواده إلى قومه فلحقه غمام ومساور ويتصارخون بالإمام وكان قد خرج الإمام بالعلم من بين المشركين ولم يرمح جواده إلى ان دخل إلى وسط عسكر المسلمين وقال الله اكبر وكبر المسلمون معه وفرحوا فرحا شديدا في ذلك اليوم فلما اخذ العلم من المشركين تحسرت قلوبهم وانقهروا قهرا عظيما حتى كادوا ان يتفرقوا من شدة غيظهم ثم اقبل الإمام على أصحابه وقيل لهم يا قوم ان هذا اليوم قد ولى بضيانه واقبل الليل بظلامه فاحملوا بنا على القوم حملة رجل واحد فانا لا نامن من ان القوم عندما ينسدل يذهبون إلى حصن ويتعجبون فيه فيعظم علينا الأمر فركب القوم خيوله وانشدوا باسلحتهم إلى ان صاروا كالاسود المغلة الضاربة وقد اشتد عزمهم باخذهم العلم ونصرهم عليهم فعند ذلك قال لهم الإمام عليهم بارك الله فيكم وعليكم فحمل الإمام وحمل القوم في اثره فلم يكن الا كلمح والبصر وقد انهزمت المشركون فولوا الابدبار وركنوا إلى الفرار فاخذهم السيف من جميع الجهات والاقطار فتفرقوا يمينا وشمالا وقد عمد غمام ومساور إلى الحصن ومعهم فينة قليلة من قومهم والإمام في اثرهم يحصد فيهم إلى ان ايقنوا بالهلاك فدخلوا الحصن وهم لا يقصدون بالدخول فغلقوا الباب وتركوا أصحابهم من خارج الحصن وكان الحصن الاسود لا تعمل فيه المعاويل فلما اوثقوا الحصن بالترايس رجع الإمام إلى من كان بخارج الحصن ومكن السيف فيهم فقتلهم عن آخرهم وتفرق المسلمون إلى وراء المنهزمين وصار كل من القوة قتلوه واخذوا سيفه وفرسه ثم اتى المسلمون الإمام فوجدوه قد افنى من كان قصد باب الحصن عن آخرهم فاقبلوا من كل الجهات واتوا إلى مكان المعركة واخذوا جميع ماكان على المشركين وقرنوا الخيل بالخيول وحملوا عددهم على الرواحل وقد اقر الله على اعين المسلمين بقتل ملكهم وعدوهم واخذوا الغنيمة ودفعوها إلى الحصن المشرق وارتدوا سالمين ثم نزل الإمام متباعدا عن الحصن

[100]

المشرق فجعل في حيلة يملك الحصن قبل وصول الجيش إليه وقد قدم الإمام وامر أصحابه جميعا بالسهر وترك المنام فإن هذه الليلة أعظم مما تقدم لكم من الليالي لاننا قريبون من جيش الملك ولا نامن ان يهجم علينا هذا الفاجر ان اللذان في هذا الحصن ومن معهم ويدهمونا في ظلام الليل وإذا هجم عليكم القوم فليحرص كل منكم الآخر حين ينام وها أنا اطوف عليكم وجعل الإمام رضي الله عنه يطوف باصحابه وقد مضى من الليل نصفه فبينما هو شاخص وإذا هو قد لاح على بعدو وهو يظهر تارة ويخفي تارة فتأمله الإمام رضي الله عنه فلما تحققه الإمام امسكه وقال اخبرني ما اسمك قال يا ابن عم الكرام الي الامان إذا قلت قال نعم وحق ابن عمي ان اصدقنتي فك ان الامان فقال الرجل يا ابا الحسن ان غماما اخا الملك لما هرب ودخل الحصن الزمني ان اكشف

له خبر جرجس اخيه بذلك كرها لك وها أنا بين يديك فامننت فطالما احسنت وان هلكت فما أنا متعرض لك فيما فعلت فعند ذلك تبسم الإمام من قوله وفرح فرحا شديدا وقال له من أين نزلت امن الباب خرجت فقال الرجل لا وحياتك يا مولاي انهم من حين دخلوا الحصن هربا منك واوثقوه بالاقفال والنرابيس وما جسروا ان يفتحوه خوفا منك وانما اوثقوني بالاحبال وارسلوني من اعلا الحصن فلما سمع الإمام فلما سمع الإمام ذلك قال وكيف تصنع حين يرفعوك إليهم إذا رجعت فقال يا ابا الحسن انهم عهدوا الي بعلمات جعلوها بيني وبينهم أخذ حجرا من الحجارة وانقر جدران الحصن ثلاث نقرات فإذا سمعوها علموا اني صاحبهم فيرسلوا الي الاحبال فواثق بها نفسي ويبقى بيني وبينهم علامة اخرى وهو اني اجر الاحبال ثلاث مرات على الحائط فيرفعوني إليهم فقال الإمام لما سمع ذلك اكبر نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ثم التفت إليه وقال ما اسمك يا هذا قال اسمي غالب فقال الإمام قم يا غالب وانزع ثيابك فقال له وما تريد بثيابي فقال الإمام ارى فيها راياء فعند ذلك نزع غالب ثيابه وهو يظن ان الإمام يقطع راسه وقال له بحق ابن عمك لا تقتلني فقال له الإمام يا غالب لك الامان ولا اهلك واولادك فطيب خاطرک وقر عينك فلا ينالك مني الا الخير فلما سمع غالب ذلك طابت نفسه وناوله ثيابه وكانت قديمة ونزع عمامته وناوله اياها فاخذها الإمام ولبسها وتقلد بسيفه من تحت اظماره واقبل على أصحابه وسلم وامر عليهم ناقد وجنبل والرغداء وخالد واوصاهم بحقل

[101]

العسكر وجميع ما معهم ثم قال لهم يا قوم كونوا على خيولكم وتقربوا إلى الحصن فإذا سمعتم نداء فاتوني مسرعين ولتكن منكم جماعة ينظرون صوب الطريق فإذا اشرف عليكم جيش ووصل إليكم فاعتنوا بالتهليل والتكبير فاني اسرع إليكم ان شاء الله تعالى ثم صار إلى جهة الحصن والقوم يتعجبون مما عزم عليه فقال غالب يا أمير المؤمنين أنا اشهد ان لا اله الا الله واشهدوا ان محمدا رسول الله فسر الإمام لذلك سرورا عظيما ثم سار الإمام وهو غير مكتثر إلى ان وصل الحصن وكان غالب قد وصف له الموضوع الذي نزل منه هذا واهل الحصن منتظرون من خبره فبينما هم كذلك إذ لاح لهم خيال الإمام وهو مقبل فظنوه صاحبهم مساور يا غمام قد جاء رسولك ارجو ان يكون جاء بسرورك وما زال الإمام سائر إلى ان جاء إلى الحصن فاخذ حجرا ونقر به جدران الحصن ثلاث نقرات متواليات فلما سمع القوم نقر الحصن ايقنوا انه غالب فارسلوا له حبلا من ليف النحل فاخذه الإمام وشد به وسطه وهو يفكر كيف يطيقون حمله وخشى ان ينكروه لثقله فلما مكن الإمام نفسه بالحبل صبر وحمد الله وحرك نفسه بالحبل ثلاث مرات فايقتوا انه صاحبهم غالب فجزوه فلم يستطيعوا ان يحركوه فقالوا هذا ثقيل علينا اثقل من المرة الاولى فقال لهم مساور لاشك انه كسب من مكان الواقعة وحمل نفسه من الاسلحة والدروع فارسلوا إليه حبلا اخر واجمعوا عليه الرجال وقالوا طلعه من قبل ان يسمع بنا علي بن ابي طالب فياتي إلينا فلا حاجة به وارسلوا إليه حبلا ثانيا فخف نفسه معهم فهان عليهم وما زالوا كذلك إلى ان وصل إلى أعلى الحصن ووقف على رجليه فتقدم إليه مساور وقال ما ابظاك وما كان من امرک وخبرک يا غالب فرفع الإمام راسه إليه وقال يا ويلك يا مساور بل أنا علي بن ابي طالب فلما سمع القوم ذكر علي التجموا على الكلام ونظر بعضهم إلى بعض من أعلى الحصن فتقدم الإمام إلى مساور السفاك ورفع بين يديه والقى به من أعلى الحصن على راسه فهوى إلى الأرض فتهشم عظمه في لحمه فلم ينطق ولا يتحرك في مكانه وعجل الله روحه إلى النار ثم التفت الإمام إلى غمام وجرده سيفه وقد وقف من دونه الرجال فصرخ فيهم صرخته المعروفة عنه ففرقتهم

[102]

يميناً وشمالاً وتقدم الإمام إلى غمام وهم ان يعلوه بالسيف فقال يا ابن عم رسول الله كرهت ان اموت تحت السيف ولأن فاتنا اشهد ان لا اله الا الله وان محمد رسول الله فقال له الإمام يا غمام لقد افلحت ونجحت وعمم الله بك السرور وفرح الإمام باسلامه فرحاً شديداً ثم ان غمام لصق جنبه إلى جنب الإمام وصاروا يضربون بالسيف في أهل الحصن إلى ان قالوا باجمعهم نحن نشهد ان لا اله الا الله ففرح الإمام باسلامهم فرحاً شديداً ثم انحدر إلى اسفل الحصن ليفتح الباب فلما فتح باب الحصن كان اول من لقيه من أصحابه الرغداء بنت الخطاف وسيفها مشهوراً في يدها فرات غماماً إلى جانب الإمام فقالت يا سيدي ما ابقالك على غمام وهو راس القوم فقال لها يارغداء انه قد اصبح اخاك في الدين وصار من جماعة المسلمين فلما سمعت ذلك تقدمت الرغداء إلى غمام وقبلت راسه وقالت له زادك الله فخراً على فخرك وعزا على عزك ثم اقبل ناقد ابن الملك فلما نظر إلى عمه غماماً وهو واقف بازاء أمير المؤمنين قال يا أمير المؤمنين هل باقى على كفره وغيه أو لا فقال له يا ناقد قبل راس عمك فانه صار شريكك في الدين فاقبل ناقد على عمه وقبل راسه وصافحه مصافحة الإسلام وفرح به فرحاً شديداً ثم ان الإمام أمر الناي ان يجمعوا الاسلاب فجمعوها ووضعهم بين يديه فاخذ الاموال والامتعة ووضعها في دار عدو الله مساور وختم عليها واخذ جميع الخيول والمواشي وحصنهم في الحصن وجعل فيه اقواماً مسلمين يحرسونه وامر عليهم من يحفظه واقام الإمام ينتظر ما يكون من أمر الله عز وجل .

(قال الراوي): وكان الملك هضام حين ارسل اخاه غماماً ومعه السبعة آلاف المتقدم ذكرهم اوصاهم ان يقدموا بعلي بن أبي طالب إلى بين يديه وجهز اخاه علقمة في سبعة آلاف اخر وامره ان يسير في الوادي حتى ياتي إلى ابن بن أبي طالب من خلفه فهذا ماكان من أمر غمام وقد هداه الله إلى الإسلام وهذا ماكان من أمر علقمة فقد اخفى الله امره وبطء غمام خبره وقد من الله على الإمام بفتح الحصن وقتل صاحبه مساور واسلام جميع قومه ثم بعث الإمام رجلاً من قومه وقال له اكشف لنا الطريق عن عدو الله الهضام وانظر ما يظهر لك وعد الي بالخبر راجعاً بلا تعويق وبعث رجلاً وقد كل واحد ناحيته كما امره الإمام وامر جنبل ان يذهب بالاسلاب إلى الحصن المشرف وياخذ معه مائة عبد

[103]

فصار كما يهره الإمام ولم يزلوا كذلك على ما امرهم الإمام إلى ان ولي نصف النهار وقد ابطا على الإمام خير الفارسين والطليعة فقلق الإمام من ذلك قلقاً شديداً وكان علقم لما خرج إلى الحرب الإمام حاد عن الطريق آخر لأجل ان يقطع خط الرجعة على الإمام فتقابل مع جنبل وأراد أن ياخذ عنه الاسلاب والاموال فبرز إليه فارس وصار ينادي يا ويلك الق حسامك وقف مكانك فقصر جنبل حتى كاد عدو الله ان يصل إليه فعطف عليه جنبل كانه شعلة نار وضربه بالسيف إلى صدره ولم يزل حتى وصل إلى السرج فتجدد عدو الله إلى الأرض صريعاً يخور في دمه وعجل الله بروحه إلى النار واخذ جنبل جواده ودفعه إلى رجل من أصحابه ثم وقف وهز سيفه وقال ويلكم يا اعداء الله فاننا رفيق ولي الله أبي الحسن .

(قال الراوي): فلما سمع عدو الله علقمة ذلك من جنبل اشتد غضبه حتى قام في سرجه وقعد من شدة قهره وقال وحق المنيع لقد كبر عارنا وزاد شرنا وصول هذا العبد اللنيم إلى عبث صاحبنا ولقد غفل المنيع ورمانا بكل أمر شنيع ثم عطف جنبل وسيفه بيده مخضب بالدم إلى عدو الله علقمة ومازال كذلك إلى ان اراد قتاله فنادى برفيع صوته يا أهل الكفر والطغيان هلموا إلى أهل القرآن ومن رفضوا عبادة الاصنام والوثان وعكفو على عبادة الله العظيم الملك الديان هل من مبارز هل من مناجز فاننا الاسد الظمان إلى شرب دماء الابطال الشجعان فلما سمع عدو الله علقمة ذلك من جنبل نزع عمامته من فوق راسه غاضباً وجلد بها الأرض في انفعال وقال وحق المنيع وزلاه بعد العز والملك تناديننا العبيد الارامل ان هذا من أعظم النكال ثم قال وحق المنيع لازيلن عن

المملكة حجابها ولاهدن من سورها ولا خرجن إلى هذا العبد اللئيم بنفسه ولا بردن بقتله كبدي ثم اصلبه واخذ عدة حربه وهم بالخروج إلى ان جنبل فتعلق به رجل يقال له شكا وكان ذلك الرجل شجاع ومن أصحاب الملك الهضام وكان شديدا الباس قوي سريع الاختلاس فقال له أيها السيد اني وحق المنيع عازم على الخروج إليه وقاصد بالهجمة عليه وقد كنت اقسمت بالمنيع ان لا اقاتل احدا حتى اقاتل علي بن أبي طالب والآن قد هاجت شعوري ومروعتي ولا عاد لي مصطبر عن الخروج الا هذا العبد الذميمة فخرج شكا كأنه سهمان غليظ من النار وهز سيفه وزاد رمحه إلى ان دنا من جنبل ونادى ويحك يا جنبل لقد مت امجنون أنت أم سكران وحمل عليه وارسل سنان رمحه

[104]

إليه فعطف على جنبل ولو ضربه بالسيف فقصفه من اعلاه باليسنتان وسار بقية العود في يده كالجرید فالفاه من يده إلى الأرض وأراد أن يجرده سيفه فبادر جنبل بضربة قبل ان يمس حسامه وضربه بالسيف على راسه فقطع البيضة ونزوا إلى ان وصل السيف إلى محارمه وسحب السيف منه فنكس عدو الله على راسه وعجل الله بروحه إلى النار فلما نظر عدو الله علقمة إلى ذلك لم يطق صبورا دون ان صرخ بقومه فاجتمعوا كلهم بين يديه وقالوا ما تريد أيها السيد اتريد ان نحمل عليه لجمعنا فقال لا وحق المنيع لا يخرج إليه غيري فكفاني هذا العار وكان علقمة جريئا على قتال الرجل لا يهاب الابطال يبادر إلى النزال فلما نظر جنبل إلى خروجه تهيأ لقتاله وبادر بالخدعة قبل ان يصل إليه وقال يا سيدي طابت نفسك ان تخرج لقتالي وسفك دمي ونسيت ما واليتني واكرمتني وما كنت الذي امدد يدي إليك بسوء لقد قدمت على فعلي ولو علمت ما في قلبك علي من الغيظ فلا أمر لك فصاح به علقمة عند ذلك وقال إليك عني فما اسواك من عبد لقد تعلمت الخداع يا ملعون دع هذا الكلام فلا بد لي من قتلك وآخذك وارميك في النار المنيع بكل أمر شنيع يقال جنبل وحق الذي من على بالإسلام وهو الذي خلق السموات والارض لنن اظفرني الله بك يالعين لاقطعن راسك هذا ماكان منهما واما كان من الملك الهضام لبس خلعة الغضب ولبس درع الغضب فالويل لمن لقيه من اعدائه ثم سار ولم تقدم إليه طليعة بل تقدم بنفسه امام القوم وتلاحقت به العساكر بالخيل والرايات والبنود واقبلت الكتاب تلو بعضها بعض قبيلة اثر قبيلة وساروا إلى ان وقعت العين على العين فنظر الإمام صفوف المشركين فصاح بأعلى صوته معاشر المسلمين ان اعدانكم متاهبون لقتالكم فكونوا على صفوفكم ومراتبكم إلى ان اعود إليكم ثم خرج أمير المؤمنين بنفسه وتقدم إلى القوم بالاعدار والانداز ولم يزل يتقرب إليهم حتى كاد ان يخالطهم وهو يسير على مهل من غير طيش ولا عجل فاضطربت الصفوف وتصارجت الرجال من حول الملك العظيم وقالوا له قف مكانك يا غلام فهذا محل الواقعة ومرتبة بالمملكة ومواقف السلطنة والملك بعينه يراك ويرعاك فإن كنت رسولا فقل ما عندك هذا والإمام لا يسمع كلامهم ولا يرد جوابهم إلى ان دنا بهم .

(قال الراوي): ففرح الملك بذلك فرحا شديدا

[105]

وكان نيته ان يسير الإمام تحت طاعته ثم قال يا مسطاح ولنن رغبت بن أبي طالب في جنتي حتى يدخل تحت طاعتي لاجعلنه الموكل بناي وجنتي واما أنت يا مسطاح فلك عندي ما تطاولت إليه يدك من الاحسان فعند ذلك عطف مسطاح جواده نحو الإمام فناداه الملك قف مكانك يا مسطاح فامسك جواده ووقف مكانه فمر له الملك بخلع الديباج وتاج مرصع الدر وعقد به قبة ثم قال يا مسطاح كن في هذه القبة ليراك بعين المهابة والفخار ويشاهد عليك من هذه المملكة آثار ثم خلع من اصبعه خاتما من ياقوت وقال خذ هذا الخاتم قل له هذا خاتم الامان من عند الملك وسيرى بين يديه العجائب عليها سروج الذهب الاحمر وقد نثر على

راسه علمين زاهرين والعبيد يقودوا النجانب وسار مسطاح إلى ان وصل إلى الإمام فنظر الإمام إليه والى زينته فظن انه الملك الهضام فتاهب الإمام فلما قرب منه الإمام تقدم مسطاح وصاح به الإمام قف مكانك واحبس زمامك واطهر كلامك فاللسان ترجمان الانسان فمن أنت يا هذا وفيما اقبلت فناداه مسطاح يا مولاي أنا راجل محبك ومن اجلك مجروح وانا بغير مطال وكثرة مقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فناده الإمام سعدت يا هذا بالايمان فما الذي قدمت إليه فقال له مسطاح الاقرن يا مولاي ان لي أمر اتيت إليك مساعدا ومسارعا أنا صاحب حصن الفواكه وان معي رجالا في الحصن يسمعون قولي فإن احببت ان ارجع إليهم وادعوه للاسلام وما من الله على من الايمان واكرههم في الكفر والفسوق والعصيان واتسبب ان اهذم من ضلالة الكفر والطغيان واني يا مولاي آمن من الله تعالى ان يكون هلاك القوم وعد والله على يدي ان شاء الله تعالى فشكره الإمام وجزاه خيرا وقال له يا مسطاح ارجع إلى ان يحكم الله بما يشاء ويختار فرجع إلى الملك الهضام وقد اشرق وجهه بنور الايمان فنظر إليه الملك فرأى نور الهداية يلوح من وجهه وعليه هيبة الإسلام فاستقبل الملك وقال مسطاح ارى وجهك منيرا فقال أيها الملك اني لما سرت وتوجهت إلى ناحية القوم مازلت سائرا إلى ان اتيت رجل في الناس مثله لا يجوز عليه خديعة ولا يخفى عليه نكر واني ذكرت له مناقب الملك وكرمه ورغبته في جنتك وحذرته من نارك فلان واستكان

[106]

ودخل تحت الطاعة والامانة الا انه ذكر لي ان له معك خطابا وعتابا وامر ان يظهر عندك هناك في مشهد من قومك فلما سمع الملك الهضام من مسطاح ذلك الكلام فرح فرحا شديدا وظن ان ذلك حق وغرق في بحر التحير وامر الناس بالنزول فنزلوا وتفرقوا في تلك الليلة على القوم ما عمهم ودفع منها لمسطاح مائة ينحرها لاهل الحصن وقال يا مسطاح خذ هؤلاء النياق وانحرها لقومك ليكونوا معنا في السرور فقام مسطاح وقاد المطايا بين يديه إلى ان وصل إلى الحصن فجمع قومه وقام فيهم كالخطيب وشوقهم إلى الجنة وحذرهم من النار ورغبهم في عبادة الملك الجبار ودعاهم إلى الإسلام وشوقهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا يا سيدنا ما الذي تريد منا ان نفعله فقال لهم ان تقروا الله بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة فقالوا باجمعهم نحن نشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فعند ذلك خر مسطاح ساجدا شاكرا لله تعالى ثم قال لهم انحروا الآن الجزور على اسم الله تعالى فقد جمعت فرحتان ونحن مسرورون باخذ الامان من ابن أبي طالب فابشروا يا قوم فاني نجيتكم في الدنيا من العار فهذا ماكان من خبر الإمام فانه حين رجع مسطاح من عنده نزل وامر الناس بالنزول ثم جمع أصحابه وقال هذه الليلة آخر الليالي مع الكفرة اللنام فاستبشروا بقوله فلما اتى الليل واسدل الظلام واضرمت المشركون النيران وتحارست الفنتان فلم ير الناس في تلك الليلة أكثر حرسا على القوم من الإمام حذار من حيلة أو كسبة في ظلام الليل فكان يحوم بنفسه على أصحابه إذ لاح له فارس يركض جواده ركضا خفيفا فامتشق الإمام سيفه بيديه ومازال سائرا إلى ان وصل إلى الفارس وهم ان يضربه فصاح به فإذا هو مسطاح فقال له اهلا وسهلا ومرحبا يا مسطاح ما الذي اتاك في هذا الوقت قال يا سيدي فرج عاجل وسرور شامل فيما أنت إليه متناول فقال الإمام اتبشرني باسلام قومك فقال يا سيدي قومي اسلموا وابشرك بالوصول إلى عدوك وعدوي الهضام وان قومي قد اسلموا اربعة الاف فارس والملك الهضام قد وصل الي في عسكر قليل من قومه وهو الآن داخل الحصن واعلم يا مولاي ان القوم متحIRON فلما سمع الإمام ذلك الكلام من مسطاح تقلد بسيفه وتمنطق بجحفته وركب جواده

[107]

وسار مسطاح بازائه فلما وصلوا إلى الحصن وجدوا الناس جالسين في انتظارهم فقالوا اهلا وسهلا بسيد الشجعان فناده الملك الهضام أين كنت يا مسطاح قال أيها الملك كنت عند صديق لي ولك دعوته ياكل معك الطعام ليشمله من الملك الاكرام فلما نظر الملك إلى أمير المؤمنين والى هول خلقته وكبر جثته وعرض مناكبه امتلا قلبه خوفا وفرعا وقال من هذا يا مسطاح فقال له أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ثم تقدم إليه أمير المؤمنين فتوثب القوم واسرع مسطاح إلى باب الحصن فاغلقه واخترب حسامه وقال الله اكبر فتح ونصر من آمن وخذل من كفر بالنام والتفت إلى قومه وقال يا جند اظهروا سيوفكم فاظهروا سيوفهم ونادوا باجمعهم نحن نشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وما القوم باجمعهم إلى ناحية الإمام وهو مضيق على الهضام وأصحابه فناداهم الإمام أيها الناس امهلوا عليه وتفرقوا عنه وتركوه فرجع الناس عنه وسيوفهم مشهورة في ايديهم ثم ان الملك الهضام قال يا ابن أبي طالب عليك بالمهل وترك العجل فقد رفعت عندي منزلتك ولولا انه لاح لي من امرك الحق وبان الصدق قال هو فيه شيء غير ذلك فقال الإمام لا يكون شيء من امرك الحق وبان الصدق قال وهو فيه شيء غير ذلك فقال الإمام لا يكون شيء ذلك فقال الإمام قم بنا الآن ان كنت آمنت بالله ورسوله وادع قومك إلى الإسلام وان كنت غير ذلك فانه اعلم ثم اتى الإمام إلى الهضام فقال لهم أنتم قائلون فقالوا ما نحول عن ديننا ابدا فقال الإمام لمسطاح وقومه دونكم واياهم فما استتم كلامه حتى عطفوا عليهم فقتلوهم عن آخرهم والهضام ينظر بعينه واصطكت اسنانه بعضها في بعض فالتفت إليه أمير المؤمنين وقال دونك وقومك ياهضام امض إليهم واسرع بالجواد فقد امهلتك وامهلت قومك وجميع من معك إلى الصباح فإن اصبح الصباح واتيت مسلما فلك الامان ومن طلعت عليه وهو مصر على دينه فلا امان له عندي الا السيف فتقدم الهضام إلى جواده فركبه حين اعطاه الإمام الامان وكان لا يصدق بالخلاص فصار مسطاح وقومه يشيرون للإمام ان يسمح له بالخروج لما يعلمون من كفره وخديعته فتبسم ضاحكا من كلامهم فلما خرج الهضام قال مسطاح يا أمير المؤمنين لقد اطلقت من يدك اسدا عظيما وقل ان يعود وان يقع في يدك

[108]

مثل هذه المرة فقال أمير المؤمنين يا مسطاح لقد حمى نفسه بقوله لا اله الا الله محمد رسول الله ولا سبيل لنا على من قالها والليله آخر لياليه والله مهلكه وانكم سترون منه ومن صمته عجائب وغرانب ثم هم الإمام بالخروج فقال مسطاح يا سيدي اما تأكل من طعامنا وتشرفنا وتسر قلوبنا قد ذبحنا على اسم الله تعالى فقال اني اخشى على اخوانكم ان يطرقهم طارق من هذا المنافق فجاء الاكل فاكل الإمام وحمد الله واتنى عليه وركب جواده وهم بالخروج واوصاهم وقال اغلقوا حصنكم ولا تخافوا فاني راجع إليكم واطلق عنان جواده وخرج من الحصن فنظر الأرض وهي تموج من اسطكاك الأرض وصهيلها وزعيق الابطال فقال الإمام لاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم وكان عدو الله الهضام لما خرج من الحصن وفاز بنجاة نفسه اطلق عنان جواده حتى وصل إلى معسكره وصرخ فيهم وقال يا ويلكم اركبوا الخيل واهجموا على القوم في الليل فقد حصدوا قومكم بالسيف وقد كاد ان يحصد صاحبكم لولا سبق الاجل فاغتموا غفلة القوم لان الإمام قد خلف اغنامه سانية وقام عبد الله بنفسه إلى أصحاب الإمام الا وقد غشيهم جنود عدو الله الهضام وزحف عليهم الرجال وتزاعقت الابطال وكان أصحاب الإمام متاهبين للقتال كما امرهم وقد تولى حرسهم ناقد بن الملك والرعداء وجنبل فلما سمعوا زعقة عدو الله على قومه فتواثبت أصحاب الإمام كالاسود الزائرة واجتمعوا ولصقوا مناكبهم إلى بعض والتفوا حتى صاروا كالحلقة الدائرة وقال بعضهم لبعض كونوا اشداء لان اميركم لا يغفل عنكم فاحتوت عليهم جنود الهضام من كل جهة وهم يظنون انهم ظافرون بهم فلما التقى الجمعان أصحاب الهضام ان ما املوا منهم بعيد والوصول إليهم صعب فاشتد القتال وازدحمت الابطال وصار الرجل لا يعرف صديقه من عدوه فبينما هم كذلك إذ سمع

الفريقان زجرات وصرخات مزعجات وكان الإمام قد أقبل وعلا صوته على جميع الاصوات فخدمت عند صرخته جميع الصرخات فلما سمعه أصحابه وهو يقول الله اكبر نصر من الله وفتح قريب يا معشر المسلمين اصبروا يا اولاد الكرام فقد آتاكم الاسد الضرغام ليث بني غالب علي بن أبي طالب ثم حمل الإمام عقب كلامه وكبر تكبيرة عظيمة فاجابه قومه عند ذلك التكبير وخدمت اصواتهم

[109]

ولم يزل الإمام يخترق المواكب ويشنتها ويضرب فيهم السيف إلى ان وصل إلى قومه وقد طحن الابطال وهلك فلما وصل إلى أصحابه نادى معاشر الأصحاب قد اتاكم اميركم وحامي حومتكم احملوا بارك الله فيكم فحملوا وهو في اولئهم وعمد إلى الكافر الغدار المنافق راس الكفار وقال له هلم إلى الموت والدمار من الفارس الكرار قاتل الفجار ومبيد الكفار وقامع الاشرار وسانقهم إلى الويل والدمار ومفنيهم بالصارم البتار فلم يرله الإمام خير ولاوقع له على اثر وقد اختلط القوم في الظلام وإذا قوابعضهم الويل إلى ان كلت الخيل من تحتهم وكانت ليلة يالها من ليلة ماراي الناس أعظم من قتالها ولا اشد من نزلها ولم ير مثلها على عهد رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ولم يزل كذلك إلى أن طلع الفجر فافترق القوم عند الصباح وقد ملنت الأرض اشباحا بلا ارواح إلى ان غاصت الخيل في الدماء فلم يكن غير قليل من الليل حتى فقد المشركون صاحبهم الهضام وافتقد المسلمون اميرهم فلم يروه ولا علموا بغية الهضام ولا المسلمون علموا بغيبة الإمام اما المسلمون فوضوا امرهم إلى الله عز وجل وقد اجمعوا امرهم على ان يقاتلوا إلى ان يفنوا عن آخرهم واما ما كان من أمر أمير المؤمنين فانه كان يدور من العسكر في القتال وهو يطلب عدو الله الهضام فلم يجده ولم يقع على خبره في وقت الحرب فبينما هو كذلك إذ نظر إلى عدو الله الهضام وهو خارج من معمعة هاربا وعلى وجهة طالبا إلى الحصن الذي هو حصن الحصون فخرج الإمام في اثره إلى ان وصل إلى الحصن فإذا عليه الحرس الشديد فاراد ان يصل إلى باب الحصن فلم يجد سبيلا فجعل يطوف حول الحصن يمينا وشمالا فإذا هو بخرق كانوا اصطنعوه لأجل خروج المطر منه إذا اجتمع في الحصن مكانه فنظر الإمام فيه فوجده ضيقا فشبك في حجر وجذبه من مكانه وازاله عن بنيانه ثم اقطع آخر ولم يزل كذلك إلى ان دخل الحصن والقوم لا يعلمون بشئ من ذلك بتوفيق الله تعالى واقبل الإمام يمشي في الحصن كانه يعرفه سابقا ويعرف طريقه ومسلكه هدي من الله سبحانه وتعالى ولم يزل كذلك إلى ان وصل إلى القبة النبي

[110]

فيها الصنم بتوفيق من الله وهو متعلق في الهواء والقناديل موقودة لا تطفأ ليلا ولا نهارا وليس عنده مساعد ولا خادم فنظر الإمام إليه فماج الصنم واضطرب في القبة وتخبط في حيطانها ورمت المردة الموكلون به بنيرنه وارتفع الصنم حتى صار في سماء القبة ورمي الإمام من أعلى القبة بالصخر والجنادل وخرج من فم الصنم لهيب النار وظهر للناس رؤوس بلا ابدان وابدان بلا رؤوس فلما نظر الإمام إلى تلك الفعال من الصنم والشياطين والمردة لم يكبر عليه شيء من ذلك بل تبسم ضاحكا وصاح بهم يا ويلكم أنا من تعرفوه ولا تنكروه أنا البلية أنا الصاعقة عليكم أنا مفنيكم جيلا بعد جيل فلما فرغ الإمام من اوصافه ازداد الأمر وكثر الشر وهجمت النيران وعلا الدخان وتصاعدت الزعقات وعظم الشان ودارت المردة والشياطين حول الإمام من كل جانب ومكان فلما نظر الإمام ذلك عزم باسماء الله العظام فعند ذلك جمدت نيرانهم وذهب دخانهم وعاد الصنم المنيع ملقى صريع فاخذ الإمام ووضع في مكان آخر واما الهضام فانه لما سمع زعقات الإمام خاف خوفا شديدا وولى هاربا من معمعة الحرب هاربا

وركب جواده إلى ان وصل إلى الحصن الاقصى وكان قد ترك فيه سريه من الرجال فلما ان وصل باب الحصن صرخ بقومه فعرفوا صرخته فنزلوا إليه مسرعين وفتحوا له الباب وسالوه عن حاله فلم يرد عليهم غير انه قال اغلقوا بابكم واحفظوا حصنكم لنلا يدخل علي بن أبي طالب ومضى إلى الصنم المنيع قاصدا فنزل عن جواده وجعل يهرول ويوسع في خطاه حتى فتح القبة ودخل للصنم مستغيثا ومستجيرا فلما توسط القبة وكان الصباح قد اصبح نادى الهه المنيع وقال الهه هل عندك ملاذ من سيف الإمام علي ثم رفع إليه فلم يلقه فقال ما أنا وأنت الا في البلية سواء فكل منا هارب من علي بن أبي طالب فاما أنا فموجود واما أنت فمفقود ووقف وهو حائر واذ بقائل يقول له بل نزل البلاء من يد الإمام المرتضى فلما سمع الهضام التفت إلى ورائه فإذا هو بالإمام واقف يخاطبه فاندھش من ذلك وجار وقال يا ابن أبي طالب أنت من السماء نزلت أم من الأرض نبتت فقال له الإمام أنا معك اينما توجهت ثم اني لصنمك اخذت وهو بي يدي فلما نظر الهضام إلى صنمه وهو في يد الإمام جعل يقبله ويقبله ويبكي عليه ويضرع إليه انقض عليه الإمام وقبض عليه قبضة

[111]

مزعجة وجلد به الأرض فقال يا ابن أبي طالب خذ الفداء عني وعن صنمي المنيع الاله الرفيع فقال له الإمام تعسا بك وبصنمك ثم مد يده إلى عمامته فحلها واوثقه كتافا وتركه لا يستطيع التحرك فبينما الإمام كذلك إذ سمع صرخات قد علك وضجات فلم تحقق ذلك ترك الهضام في مكانه وصعد حتى صار على أعلى السور وتخلط بالقوم وها لا يعلمون ما حل بالهضام ولم يعرفوا الإمام فبينما هو ينظر أعلى الوادي إذ رأى المنهزمين من المشركين متوجهين من حصن الفواكه إلى حصن الاقصى من يدي المسلمين والمسلمون من ورائهم ياخذونهم من كل جانب ففرح الإمام بذلك فرحا شديدا وسمع مسطاح وهو ينادي إلى أين يا ابناء الاوذال تمضون فلما نظر الإمام زادت به الافراح وهذا والمشركون ينادون ياسرار بن طارق افتح لنا الباب فصرخ سرارا لانفتح لكم الباب لنلا يدركننا يدركننا علي بن أبي طالب كل هذا والإمام بينهم ولم يرد عليهم جوابا ثم امتشق سيفه ووثب فيهم وقال يا ويلكم ان سلمتم لي انفسكم واستاسرتم باجمعكم والا محوتكم بهذا السيف عن آخركم فعند ذلك ساحوا باجمعهم الامان يا ابن أبي طالب فقال كتفوا بعضكم بعضا فاخذ القوم في تكتيفهم حتى لم يبق احد منهم وإماما كان من جيش الهضام والمسلمون فانهم قد قد احاطوا بالمشركين فبينما هم كذلك وإذا بعاج قد طلع من ناحية حصن الفواكه وبينهم فارس على جواد سابق فلما وصل حمل هو بقومه ففرحت به المسلمون حين نظروه وإذا هو مسطاح الاقرن وهو ينادي ويقول ابشروا بالنصر يا حزب الرحمن فانا مسطاح أنا قاتل الفرسان فلما سمع المشركون ذلك ولت الادبار وتوجهوا نحو الحصن والديار فلما وصلوا إلى الحصن نادوا ياسرار يا ابن طلوق افتح لنا الباب والمسلمون من ورائهم هذا والإمام قد كتف الهضام في مكانه فسمع الضجات والصرخات وصعد إلى اعلا الحصن فلما وصل المنهزمين نزل الإمام من اعلا الحصن إلى المكان الذي فيه الهضام وقال ويحك ما أنت قائل فقال الهضام اشهد علي يا ابن أبي طالب انك اخذت بسحرك جميع اولاد الملوك فعند ذلك غضب غضبا شديدا فما صبر دون ان قام إليه ورفع جلد به الأرض فادخل اضلاعه بعضها في بعض ولم يتحرك ولم ينطق وعجل لله بروحه إلى النار وتقدم الإمام إلى الصنم واخذ صخرة عظيمة وضربه بها فقطعه قطعا وامر به الهضام ان يحملوهم ويطرحوهم في نارهم التي صنعوها وجعل على البيد زبانية واخذ جميع العبيد ودخل الجند وخذ كل شيء كان فيها من الذهب والجوهر واليواقيت فلما فرغ

الإمام من ذلك ارسل إلى جميع الحصون واحضر امراءهم بين يديه واقام عليهم ناقد سلطانا كما كان ابوه اولاً واقام بينهم شرع الايمان والإسلام وامر ببناء المساجد وتلاوة آيات الله واکرام الفقراء والمساكين والایتام وامر على حصن الحصون عمه غمام كعادته في حياة الهضام واقام ايام قلائل وأراد أن يتوجه إلى مدينة يثرب لمشاهدة بن عمه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه [وآله] وسلم فاقبل عليه ناقد ابن الملك وقال يا أمير المؤمنين لي حاجة فقال له الإمام اسأل عما بذلك تعط كل ما تريد ان شاء الله تعالى فقال يا سيدي أريد ان اتزوج الرغداء بنت الخطاف فقال السمع والطاعة وارسل إلى الرغداء واعلمها بذلك فقالت له السمع والطاعة فصنع لهم الإمام رضي الله عنه وليمة عظيمة ولها بين العرب وزوجه أمير المؤمنين بالرغداء في تلك الليلة وعطاها جميع ما تحتاجه النساء واقام معها في عيشة هنيئة ثم ان الإمام رضي الله عنه وضع لهم الوليمة وارخيت عليهم سرادقات الخلوة وتجهز إلى السير نحو مدينة يثرب فقام معه ناقد وكبراء المؤمنين لي حاجة فقال له الإمام اسأل عما بذلك تعط كل ما تريد ان شاء الله تعالى فقال يا سيدي أريد ان اتزوج الرغداء بنت الخطاف فقال السمع والطاعة وارسل إلى الرغداء واعلمها بذلك فقالت له السمع والطاعة فصنع لهم الإمام رضي الله عنه وليمة عظيمة ولها بين العرب وزوجه أمير المؤمنين بالرغداء في تلك الليلة وعطاها جميع ما تحتاجه النساء واقام معها في عيشة هنيئة ثم ان الإمام رضي الله عنه وضع لهم الوليمة وارخيت عليهم سرادقات الخلوة وتجهز إلى السير نحو مدينة يثرب فقام معه ناقد وكبراء قومه ورؤساء حصونه ومن معه من أصحاب المسلمين وصار يودعون أمير المؤمنين فكان كلما اتى إلى حصن من الحصون يقيم يوم أو يومين وهو يعلمهم في شرائع دينهم حتى خرج من الحصون وناقد معه وقومه يتبعونه ويودعونه فأمرهم الإمام بالرجوع فسار وجد في السير وكان كلما اتى إلى حصن يقسم غنائه خمسة خماس ويعطي الأمير الذي فيه هو وقومه خمسا ويجعل الاربعة اخماس إلى بيت مال المسلمين وسار علم الانوار الذي غنمه منصوب على راسه إلى ان اتى المدينة المنورة فلما قرب من المدينة هبط جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم سيد الانام ومصباح الظلام ورسول الله الملك العلام وبشر بقدم الفارس الهمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه وبشره بما فتح على يده قتل عدو الله الهضام فأمر رسول الله المهاجرين والانتصار إلى البراز لملاقاة علي الكرار ففرحوا بذلك فرحا شديدا وركبوا خيولهم وركب النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم إلى ان تقابل معه وضمه إلى صدره فضمه المسلمون والجيش وفرحوا فرحا شديدا واخذ النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم الغنائم والعلم الانوار الذي جاء به الإمام وفرقها على أهل المدينة ولم يرك احد من المسلمين الا واعطاه نصيبه وكانت مدة غيبة الإمام ورجوعه اربعين يوما وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.